مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات بسوهاج

أبرز المشكلات الفلسفية
لدى المدارس اليونانية القديمة

"دراسة تحليلية"

إعداد

د/ غادة رمضان امبابي رمضان

ملخص البحث

أبرز المشكلات الفلسفية لدى المدارس اليونانية القديمة (دراسة تحليلية)

الاسم : غاده رمضان إمبابي رمضان .

قسم العقيدة والفلسفة ،كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج .

الجامعة : الأزهر ، المدينة سوهاج ، الدولة جمهورية مصر العربية .

البريد الالكتروني : ghadaramadan.79@azhar.edu.eg

إن المتأمل في دراسته للفلسفة اليونانية القديمة يجد تميز هذه الفلسفة ورجالها حيث نجدهم أفنوا حياتهم في البحث، وقدموا للفكر البشري إبداعاتهم الفريدة وأعمالهم الخالدة في مجالات الفلسفة وغيرها من العلوم وشتى المعارف، بغض النظر عن قبول هذه الحلول التي وضعها الفلاسفة أم لا ؟

ويهدف البحث إلى التعرف على المشكلات الفلسفية لفلسفة ما قبل سقراط التي شغلت أذهانهم وبيان جهودهم المبذولة في حل هذه المشكلات، ويهدف أيضا طلب وحب المعرفة والتطلع إلى ما لدي هؤلاء الفلاسفة اليونانية ارتكزت بشكل أساسي على العقل فهو الذي يصيغ المشاكل بنفسه ويعمل على حلها بجهده، كما يهدف البحث إلى إظهار مدى الصلة القوية بين المدارس اليونانية القديمة، كالمدرسة الأيونية، المدرسة الفيثاغورية، المدرسة الايلية، وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهم.

أما عن منهج فقد اعتمدت على المنهج التحليلي النقدي حيث يلزم تحليل أفكار فلاسفة هذه هذه المدارس نقدها وترجيح الصواب منها واعتمدت أيضا على المنهج المقارن لكي يتضح المعنى في الذهن .

وكان من نتائج البحث معرفة أن أول نظرة فلسفية خالصة مقترنة بالنظرة العلمية بدأت مع طاليس وترامت مع انكسمندريس وانكسيمانس وخلفت تراث الفلسفة الطبيعية الأولى التي تعد على بساطتها قاعدة الحضارة الفكرية عند اليونان، ومعرفة أيضا أن بارميندس الايلي أهم شخصية استمد منها أفلاطون اتجاهه التأملي والميتافيزيقي وهو أول فيلسوف أثار مشكلة المعرفة على أساس التميز التميز بين الحقيقة والمظهر في الوجود، كما يعد انكساغوراس هو أول من فضل العقل عن المادة أو فرق بين الجسماني واللاجسماني، وظهر لنا جليا مدى الصلة القوية بين المدارس اليونانية فهي لا يتفق من ناحية الزمان والعصر فحسب بل تتفق أيضا في المذهب والاتجاه الفلسفي

الكلمات المفتاحية :

الفلسفة – اليونانية –المشكلات – المعرفة – النفس – العالم .

Research Summary

The most prominent philosophical problems of ancient Greek schools (Analytical study(

Name: Ghada Ramadan Imbaby Ramadan

Department of Belief and Philosophy, College of Islamic and Arabic Studies for Girls, Sohag

University: Al-Azhar, the city of Sohag, the state, the Arab Republic of Egypt

E-mail: ghadaramadan.79@azhar.edu.eg

The meditator in his study of ancient Greek philosophy finds the distinction of this philosophy and its men, as we find that they spent their lives in research, and presented to human thought their unique innovations and immortal works in the fields of philosophy and other sciences and various knowledge, regardless of whether or not these solutions developed by philosophers were accepted?

The research aims to identify the philosophical problems of pre-Socratic philosophy that occupied their minds and the efforts exerted in solving these problems, and also aims to seek and love knowledge and look to what these Greek philosophers have mainly based on reason, for it is the one who formulates problems himself and works to solve them with his own efforts, as well as The research aims to show the strong link between the ancient Greek schools, such as the Ionian School, the Pythagorean School, the Eleatic School, and to show the points of agreement and differences between them.

As for the curriculum, it relied on the critical analytical method, as it is necessary to analyze the ideas of the

philosophers of these schools, critiquing them and weighing the correctness from them, and they also relied on the comparative approach so that the meaning becomes clear in the mind.

One of the results of the research was the knowledge that the first purely philosophical view associated with the scientific view began with Thales and extended with Anxamendris Wanximans and left the legacy of the first natural philosophy, which, on its simplicity, is the basis of the intellectual civilization of Greece, and also knowing that Parmendes the Elie is the most important character from which Plato derived his contemplative and metaphysical direction, and he is the first A philosopher who raised the problem of knowledge on the basis of the distinction between truth and appearance in existence, just as Anxagoras was the first to favor the mind over matter or the difference between the physical and the non-physical, and it became clear to us the extent of the strong connection between the Greek schools, as it is not consistent in terms of time and age, but also agrees. In doctrine and philosophical direction

key words :

Philosophy - Greek - problems - knowledge - soul - the world.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، إنه من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) .

﴿ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .
(٢) سورة النساء : الآية ١ .
(٣) سورة الأحزاب : ٧٠ ، ٧١ .

وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١)

أما بعد

إن الفلسفة اليونانية عميقة في أفكارها، وذلك لتميزها بفلاسفة أفنوا حياتهم من أجل ايثار عقل ووجدان الفكر البشري لإبداعاتهم الفريدة وأعمالهم الخالدة في مجالات الفلسفة وغيرها من العلوم والفنون ليس فقط في العصور القديمة بل امتد آثارهم حتى يومنا هذا ، ولذلك فعلينا جميعا ان ننظر للتراث اليوناني على أنه تراثا ملك للإنسانية جمعاء بصفته انتاجا بشريا وانسانيا ونحن جميعا نشترك في هذا الجوهر الإنساني

ولذلك يقول د:عاطف العراقي :"هل من المعقول أن ننظر إلى الفكر الأوروبي والذي نعتقد من جانبنا أنه أعظم صور الفكر ،هل من المعقول أن ننظر إليه بضاعة فكرية فاسدة، بحيث نقيم بيننا وبينه سدا منيعا" (٢) .

لقد كانت فكرة الطبيعة عند الفلاسفة الطبيعيين الأوائل تعني المادة الأولية التي نشأت عنها كل الموجودات وعلى هذا الأساس اتجه كل فيلسوف بعرض فكرة معينة وفرضية انطلق منها معللا ومفسرا كل مظاهر الوجود المادي فقد انطلق طاليس من فرضية أن الماء هو أصل الأشياء كما قرر انكسيمانس أن الهواء هو العلة الأولى للوجود ، وقد ذكر هيراقليطس

---

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٢) العراقي – د عاطف العراقي – الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية – ص٥٠ .

أن النار هي العنصر الأساسي لوجود الكائنات وهكذا ....

واللافت للنظر أن أغلب فلاسفة اليونان القدماء قد استندوا في محاولة تفسيرهم لأصل الوجود إلى عدة فروض أغلبها فروض مادية بحتة، ولذلك أطلق على المشتغلين بالفلسفة في هذه الفترة بالطبيعيين الأوائل، لأنه كان جل اهتمامهم منصبا على البحث في أصل الكون ونشأته .

كما كان البحث منصبا في قضايا الإنسان والنفس وطبيعتها ،وعلاقتها بالجسد، ومصيرها وكيفية خلاصها، فقد فسرها بعضهم تفسيرا ماديا ،وأنها في حركتها الدائبة تشارك سائر الموجودات وعلى هذا فالفكر اليوناني يمثل نقلة حضارية في الفكر الإنساني ، وذهب بعضهم إلى أن النفس الإنسانية عبارة عن ذرات متطايرة في الهواء وهكذا...

كما كان لفلاسفة المدارس اليونانية القديمة الدور في بحث مشكلة المعرفة هل تكون عن طريق الحس أم عن طريق العقل، فمنهم من ذهب إلى القول بأن المعرفة تأتي عن طريق الحس، ومنهم من قال بأنها تأتي عن طريق العقل ..

إن مؤشّرات المعرفة في الحضارة اليونانية والفكر اليوناني هي بداية المعرفة الفلسفية وأصلها وموطنها الأول.

وحيث ان الفكر الفلسفي في المدارس اليونانية قبل سقراط لم يكن متفقا في بعض الأمور، فدار الاختلاف بين الطبيعيين والرياضيين والإيليين في مسائل أهمها نشأة العالم ، والنفس الإنسانية ،والمعرفة هل هي حسية

ام عقلية .

لذا فقد وقفت هل أبحث فلاسفة تلك المرحلة مدرسة مدرسة أم أتناول الأفكار الفلسفية فكرة فكرة مبينا رأى كل فيلسوف فوجدت الاختلاف كبيرا ، لذا فقد آثرت أن أتبع المدارس وأن أتناول أهم أفكارها .

من هذا الانطباع القلق تداعت إلى ذاكرتي فكرة شغلتني ودفعت بي إلى البحث في أهم وأبرز القضايا الفلسفية لدى فلاسفة اليونان لذا استخرت الله عز وجل للكتابة في هذا الموضوع وجعلت عنوانه :

"أبرز المشكلات الفلسفية لدى المدارس اليونانية القديمة دراسة تحليلية" .

وكان من أسباب اختيار هذا الموضوع ما يلى :-

١ - التعرف على المشكلات الفلسفية لفلاسفة المرحلة ما قبل السقراطية، التي شغلت أذهانهم وبيان جهودهم المبذولة في حل هذه المشكلات.

٢ - اظهار اهتمام الفلسفة اليونانية بالبحث في مشكلة الطبيعة وعنايتها بفكرة الوجود وبداية نشأة المخلوقات ، هذه المشكلة التي شغلت الكثير من أذهان المفكرين.

٣ - اظهار مدى الصلة القوية بين المدارس اليونانية القديمة كالمدرسة الأيونية، والمدرسة الفيثاغورية، والمدرسة الإيلية وبيان ما لدى هذه المدارس من أوجه اتفاق واختلاف .

٤ - طلب الحقيقة وحب المعرفة والتطلع إلى ما لدى هؤلاء الفلاسفة من أفكار فلسفية تجاه هذه المشكلات ،لأن الإنسان دائم البحث عن المعرفة غير منقطع أو متواني عن السعي في طريق العلوم

والمعارف .

٥ – بيان أن الفلسفة اليونانية ارتكزت بشكلٍ أساسيٍ على العقل، فالفكر اليوناني تميّز بالتحرر والطلاقة، والعقل اليوناني هو الذي يصيغ المشاكل بنفسه ويعمل على حلها بجهده .

٦ – بيان أن الفلسفة اليونانية تهدف إلى الوصول للمعرفة غاية وليس وسيلة ، فالهدف من هذه الفلسفة هو معرفة ماهية الأشياء وحقائقها وخصائصها .

أما عن منهج البحث فقد اعتمدت على المنهج " التحليلي النقدي " حيث يلزم تحليل أفكار فلاسفة هذه المدارس ونقدها وترجيح ما تراه الباحثة أمثل وأصوب .

وإضافة إلى ذلك اعتمدت على المنهج المقارن وذلك حتى يتضح المعنى فى الذهن ونرى مقدار التأثير والتأثر، ونقف على مواطن الأصالة والابتكار والتجديد أو المتابعة والتقليد.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على مقدمة و تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي :

المقدمة : وتشتمل على أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج الباحثة فيه .

التمهيد : ويشتمل على بيان مراحل الفلسفة اليونانية.

المبحث الأول : مشكلة نشأة العالم لدى المدارس اليونانية القديمة :-

ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب:-

المطلب الأول : مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الأيونية :-

المطلب الثاني : مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الفيثاغورية .

المطلب الثالث : مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الإيلية .

المطلب الرابع : مشكلة نشأة العالم لدى الفلاسفة الطبيعيين المتأخرين .

المبحث الثاني : مشكلة النفس الإنسانية لدى فلاسفة المدارس اليونانية القديمة

المبحث الثالث : مشكلة نظرية المعرفة لدى فلاسفة المدارس اليونانية القديمة .

الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من خلال دراستها للبحث .

تمهيد

مراحل الفلسفة اليونانية

مما لا شك فيه أن الفلسفة اليونانية قد نشأت من تماس اليونان بالشرق ، فقد نشأت في المستعمرات التي أقامها اليونان في أيونيا الواقعة على حدود آسيا الصغرى حيث وجدوا أنفسهم في تماس مع الشعوب الشرقية ، فأنجبت ملطية طاليس وانكسيمانس وانكسمندريس ، وأنجبت أفسوس هيراقليطس ، وحينما بدأت الغارات الفارسية انتقل مسرح الفلسفة إلى الغرب فاستقر في إيطاليا الجنوبية وصقلية حيث أسس الأيونيون عددا من المدن فأقام اكسانوفان في إيليا ، أما أنبادوقليس فيمت بصلة إلى صقلية ، ثم حدث تجديد الفكر اليوناني فكان ديمقريطس من أبديرا التي أسسها الأيونيون في تراقيا ، وبذلك يمكن القول أن أثينا قد أصبحت ملتقى الأمم من كل حدب وصوب واستطاعت الفلسفة فيها أن تحافظ على تماسها مع الشرق . هذا وقد مرت الفلسفة اليونانية بمراحل متعددة تتمثل فيما يلى:

١ – المرحلة الطبيعية أو الكوزمولوجية :

وتبدأ هذه المرحلة بطاليس الملطى وتلميذيه انكسمندريس وانكسيمانس ، ويطلق على هؤلاء الفلاسفة الملطيين اسم الطبيعيين الأيونيين بسبب اهتمامهم الخاص بالبحث في الطبيعة ، وعلى وجه دقيق في علم الكون وهو فرع من فروع الفلسفة يهتم بدراسة الكون في أصله وتكوينه ونظامه، وقد أخذ هؤلاء الفلاسفة الأيونيين على عاتقهم مهمة البحث في طبيعة الجوهر، والمادة الكونية ،بل وفي كل مادة خام يتكون

منها العالم بأكمله وهذه المرحلة تتصف بالبحث عن مبدأ الموجودات الطبيعية الواحد، والقوانين التي تتحكم بصدور الكثرة عن الوحدة وبتغيرها وتعاقبها على سبيل الدوران .

٢ – المرحلة الميتافيزيقية :

تبدأ هذه المرحلة بالفليسوف "بارميندس"، وهو من أنصار المدرسة الإيلية الميتافيزيقية ، وقد استخدم المنطق العقلي في نقد كل المذاهب السابقة عليه في القرن السادس ق . م إذ اعترض على افتراضها وحدة أولى أو زوج من الأضداد الأولية اشتقت منها جميع الكائنات المتعددة .

وفى هذه المرحلة يعمد الفلاسفة إلى تخطى المبادئ الطبيعية والمادية باتجاه مبادئ أوغل في التجريد كالصيرورة: هيراقليطس، أو الوجود : بارمنيدس، أو النظام الكونى: انكساغوراس، أو بنية الكون الذرية: ديمقريطس وأتباعه [١] .

٣ – المرحلة الإنسانية :

يحل الإنسان في هذه المرحلة في مركز الدائرة من الكون وإليه ترد جميع الأفعال والأقوال ويمـــثل هذه المرحلة بروتاغورس (ت ٤٢٠ق.م) ، وغورجياس (ت ٣٨٠ ق.م) ، وتلامذتهما الذين عرفوا بالسفاسطة .

ويطلق على المراحل الثلاث الآنفة الذكر عادة اسم المرحلة ما قبل

---

(١) سيأتي التعريف بالشخصيات السابقة في هذا البحث إن شاء الله .

السقراطية[١] .

٤ - مرحلة التأليف والتنسيق :

يستهل سقـــراط(ت٣٩٩ قم) هذه المرحـــلة ، ويمـــثل كل من أفلاطون (ت ٣٤٧ ق.م) وأرسطو طاليس (ت ٣٢٣ ق.م) ذروة تطورها .

٥ – المرحلة الأخلاقية :

تحول الفلاسفة إبان هذه المرحلة عن الخوض في القضايا الذهنية أو النظرية المجردة ، وانصرفوا إلى البحث عن ماهية السعادة أو الخير والسبل المفضية إلى بلوغها ويمثل هذه المرحلة تياران خلقيان متوازيان هما الرواقية ومؤسسها زينون ، والأبيقورية ومؤسسها أبيقورس(ت ٢٧٠ ق.م) .

٦ – المرحلة الختامية:

وهذه المرحلة تختصر جميع المراحل الآنفة أو تلخصها ، وبها تبلغ الفلسفة اليونانية نهايتها على الرغم من استمرار تأثيرها الحاسم في شتى الحركات الفكرية أو الدينية اللاحقة ، العربية الإسلامية واللاتينية المسيحية في العصور الوسطى ، ومن أبرز فلاسفة هذه المرحلة أفلوطين(ت٢٧٠ م)،

---

(١) د/ ماجد فخرى – تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبـــرقلس ص ١٠ ، دار العلم للملايين ط:أولى ١٩٩١م ، وانظر: د/ أميرة حلمـــي مطـــر – الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ص ٢٢ ومـــا بعـــدها ، دار المعـــارف ١٩٨٨م.

وعدد كبير من الفلاسفة والشراح الذين كتبوا باليونانية [١] .

وبعد هذا العرض الموجز الذي ذكرناه عن مراحل الفلسفة اليونانية في إيجاز منعا للتطويل الممل في هذا الشأن والذي تحدثت عنه الكثير من المصنفات والمؤلفات مما لا داعى أن أذكره هنا نظرا لعدم حاجة البحث إليه، ينتقل بنا الحديث بعد ذلك عن جانب آخر من جوانب البحث وبالله التوفيق.

(١) د/ ماجد فخرى – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٠ ، وانظر: د/ على سامى النشار ، د/ أحمد صبحى – نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان ص ١٤ وما بعدها ، منشأة المعارف ١٩٦٤م. وانظر : محمود فهمي – تاريخ اليونان – تقديم د/ محمد زينهم محمد عزب ص١٠ وما بعدها ، مطبعة الغد – ط : أولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

المبحث الأول
مشكلة نشأة العالم
لدى المدارس اليونانية القديمة

ويشتمل على تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الأيونية .

المطلب الثاني : مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الفيثاغورية .

المطلب الثالث : مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الإيلية.

المطلب الرابع :مشكلة نشأة العالم لدى الفلاسفة الطبيعيين المتأخرين

تمهيد :

لقد أثارت المدارس اليونانية القديمة مشكلات جمة في محاولتها حل مشكلة تفسير الوجود وأصله ، وذلك برده إلى أصل واحد أو إلى أصول متعددة ، ومن ثم فقد اهتموا إلى حد كبير بمحاولة فهم العلاقة بين أصل الكون ومصدره وبين نشأة الكائنات الحية وغير ذلك من موجودات طبيعية، ويتبين لنا كما سنرى أنهم ذهبوا إلى التشبيه ، فلقد نظروا إلى ولادة الكائنات الحية وحاولوا تعميم هذه النظرة ، فكما ينشأ الكائن من كائن آخر، وكما ينشأ النبات من البذور فإن الكون كذلك أو يجب أن يكون كذلك ، وهذا يتضمن أن الكون اليوناني القديم لا بداية له ... فلا شيء يحدث من لا شيء ، ولا شيء يحدث عن لا شيء ، وإذا كانت الحياة – كما هو واضح – تتطلب الحرارة والهواء والنار فإن الكون يجب أن يكون كذلك . وعلى ضوء هذه العناصر تشعبت آراء فلاسفة المدارس اليونانية :

هل يا ترى أصل الكون وسبب الحياة فيه الهواء أم الماء أم النار أم كلها معا ، وكما وجدت التفسيرات المادية سبيلها إلى الفلسفة المادية ، كذلك فقد وجدت التفسيرات المثالية طريقها هي الأخرى ، فلقد حاول بارمنيدس – كما سيأتي – أن يفسر الكون بعيدا عن التفسير المادي ، أعني بعيدا عن الأحوال التي يقررها الحس مثل الحركة والنمو والفساد والتغير ، ولذلك نادى بالواحد المطلق فحسب .

لذا يمكن القول بأن الشغل الشاغل الذى سيطر على العقلية اليونانية بوجه عام هو محاولة الوصول إلى أصل الأشياء وتفسير نشوئها عن هذا الأصل، وفيما يلي بيان ذلك بإيجاز:

المطلب الأول
مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الأيونية

بداية نقول : لقد اتصفت المدرسة الطبيعية التي استهلها طاليس بالبحث عن المبادئ الطبيعية أو المادية التي انبثقت عنها جميع الموجودات والقوانين التي تتحكم بها ، وهذه المبادئ – كما سيأتي – ثلاثة هي الماء والهواء واللامتناهي ، يضاف إليها النار التي رأى هيراقليطس فيلسوف أفسس أنها أصل الأشياء ، أما القوانين التي تتحكم بالظواهر الطبيعية فقد كان أنكسمندريس أول من تطرق إليها فردها إلى التضاد بين الكيفيات الأربع ، بينما اكتفى تلميذيه منها باثنتين هما الرطوبة والحرارة ، مضيفا إليها قانونا كونيا شاملا هو الحركة [١] .

وإذا كانت التفسيرات المتعلقة بأصل الكون ونشأته قد تنوعت واختلفت فإن هذا يبين أن مفهوم الطبيعة لم يكن واحدا بل تعدد واختلف حسب تصور كل فيلسوف .

ولئن تأثرت هذه المدرسة بفلسفة فإنما تأثرت بالفلسفة الفيثاغورية والإيليائية المعاصرتين لها ، وفيما يلى الحديث عن موقف رجال هذه المدرسة من مشكلة أصل العالم باختصار:

---

(١) انظر : د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية مع بيان مصادرها ص ٨ ، مكتبة الحرية ، ط:أولى ١٩٨٠م .

أولا: نشأة العالم عند طاليس [١] :

ذهب طاليس إلى اعتبار أن الماء هو العلة المادية والجوهر الأوحد الذى تتكون منه الأشياء والموجودات جميعا ولذا يقول :

" إن الماء هو المادة الأولى والجوهر الأوحد الذي تتكون منه الأشياء " [٢]

ويضيف قائلا : "هذه الاختلافات المشاهدة في جزئيات الكون ليست إلا نتائج استحالات عرضت للماء فغيرت مظاهره الخارجية ، أو خاصيته

---

(١) ولد طاليس في عام ٦٢٤ ق.م ، وقد اشتهر في عصره بالحكمة وسمى لذلك بالحكيم ، كما رحل إلى بلاد كثيرة ، وتأثر ببعض الفلاسفة الشرقيين ، وعرف بميله نحو العلم والسياسة والرياضة والفلك ، وسافر إلى مصر وتعلم بها بعض الحقائق الهندسية ونقلها إلى بلاد اليونان، توفى عام ٥٤٦ ق.م ، انظر: هنري توماس – أعلام الفلاسفة ، كيف نفهمهم ، ترجمة متري أمين ، مراجعة : د/ زكى نجيب محمود ص ٦٧ وما بعدها ، دار النهضة العربية ١٩٧٤م ، وانظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ص ٤٨ ، دار إحياء الكتب العربية ط:أولى ١٩٥٤م ، وانظر: د/ حسام الدين الألوسي – بواكير الفلسفة قبل طاليس أو من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان ص ٢٢٤ ، دار الشئون الثقافية بغداد ١٩٨٦م.

(٢) انظر : أرسطو – ما بعد الطبيعة – مقالة الألف فصل ٣ ص ٩٧٣، وانظر: د/ محمد عزيز – تاريخ الفلسفة ص ٢٢ ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية بدون .

التي كانت ترافقه وهو ماء ، وأحلت محلها خاصيات أخرى تتلاءم مع المظهر الجديد الذى استحال إليه الماء" [١] .

فالماء عند طاليس هو الجوهر الأوحد الذى تتشكل منه الأشياء والموجودات جميعا، اذن فالماء عنده هو المادة الكونية الخام التي يتألف منه العالم ، ولكن لماذا اختار طاليس مادة الماء مصدرا أولا للأشياء؟

يرى طاليس أن الماء يظهر في ثلاث صور مختلفة سائلا، وصلبا ،وبخارا ، وعلاوة على ذلك فقد مكنه حدسه من أن يقر أن جميع حالات المادة السابقة تتكون بالضرورة من جوهر واحد يبقى على ما هو عليه برغم اختلاف الحالات أو الصور التي يتجمع فيها [٢] .

حيث يرى طاليس أن النبات يتغذى من الماء، وأن الحيوانات المائية كثيرة بل وأكثر من الحيوانات البرية ، وأن تكوين السحاب هو العلة في الحياة ، وتكوين السحاب يؤدى إلى المطر فالماء، فأصل الأشياء إذن هو الماء .

ويفسر أرسطو رأى طاليس هذا بأنه كان يرى أن النبات والحيوان كلاهما يتغذيان بالرطوبة ، ومبدأ الرطوبة هو الماء ، وما منه يتغذى

---

(١) انظر : أرسطو – ما بعد الطبيعة – مقالة الألف فصل ٣ ص ٩٨٣، وانظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٥٧ .

(٢) فرج – د/ محمد يحي – الفلسفة اليونانية القديمة أنواعها ومشكلاتها ص ١٦ – الناشر – دار الكتاب العربي .

الشيء فهو يتكون منه بالضرورة ، فكأن الرطوبة هي الحياة وعدم وجودها هو الموت ، وكل الأشياء الحية تخرج من البذرة الرطبة ، أما الأشياء الميتة فتتعفن وتتحول إلى تراب جاف، وعندما يتبخر الماء فإنه يصبح هواء ونارا ، وإذا ما تجمد أصبح صخرا وثلجا [١].

وقد نتساءل من أين طاليس قد أخذ هذه الفكرة – فكرة الماء أصل الوجود – ؟

يرى يوسف كرم أن هذا القول كان مألوفا عند الأقدمين :فقد ذكر هوميروس أن أقيانوس المصدر الأول للأشياء ، ومن قبل أيضا قالت أسطورة بابلية : " في البدء قبل أن تسمى السماء وأن يعرف للأرض اسم كان المحيط وكان البحر " وجاء في قصة مصرية :

" في البدء كان المحيط المظلم أو الماء الأول حيث كان آتون وحده الإله الأول صانع الآلهة والبشر والأشياء" وجاء في التوراة "في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خالية خاوية ، وعلى وجه القمر ظلام ، وروح الله يرف على وجه المياه" ،ويعادل هذه الأقوال قول علماؤنا الآن أن تكوين العالم بدأ منذ أن تحولت الأبخرة الأولى ماء [٢] .

---

(١) انظر : أرسطو – كتاب النفس ص ١١، وانظر: د/ حربى محمود – الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية ص ٧٣ ومـــا بعـــدها ، دار المعرفـــة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٩م.

(٢) د/ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانيـــة ص ،٦، ١٢، ١٣ وانظـــر: د/ عبـــد=

ويرى برتراند رسل عبارة طاليس "العالم يتألف من الماء" عبارة ليست مسرفة إلى الحد الذى تبدو عليه للوهلة الأولى، ولا في مجرد نتاج للخيال المنفصل عن المشاهدة ، فقد تبين في عصرنا هذا أن الهيدروجين الذي هو العنصر المولد للماء ، وهو العنصر الكيميائي الذي يمكن تخليق جميع العناصر الأخرى منه ، والواقع أن الرأي القائل أن المادة كلها واحدة هو فرض علمي جدير بالاحترام [١] .

أثر البيئة على فكر طاليس:

لا شك أن البيئة قد أثرت على فكر طاليس في قوله بأن الماء هو الجوهر الأوحد الذى تتشكل منه الأشياء والموجودات جميعا ولذا يقول الدكتور محمد غلاب :

" إن نشأة طاليس على شاطئ البحر وسماعه اصطخاب الرعود ومشاهدته لمعان البروق وتصاعد الأبخرة ، ... وتوالى انهمار المطر المشتمل على سائل المياه وجامدها كل ذلك أثر على قوله ، حيث لم يجد شيئا يمكن أن يكون أصلا لها جميعا أقرب من الماء ؛ لأنه كان يرى بعينه أن تلك السحب التي تحدث كل ذلك الضجيج والبرق ليست إلا بخارا رآه هو

=الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ٩٥ ، طبعة خامسة – بيروت ١٩٧٩م.

(١) انظر براتراند رسل :حكمة الغرب – عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي . ترجمة د :فواد زكريا ج١ ص٣٤ – الناشر دار المعرفة – الكويت .

نفسه يصعد من البحر ثم يتكاثف" [١]

كما تقول د أميرة مطر : "كان اهتمام طاليس بالبحث في الفلك والظواهر الجوية من تبخر وندى وأمطار وفيضانات من أهم أسباب افتراضه الماء مادة أولى ومبدءا لجميع الموجودات" [٢] .

وللتدليل أيضا على هذا التأثير يحكي أرسطو عنه فيقول:

"إن التراب يتكون من الماء ويطغى عليه شيئا فشيئا كما يشاهد فى الدلتا المصرية وفي أنهر أيونية ، حيث يتراكم الطمي عاما بعد عام ، وما يشاهد في هذه الأحوال الجزئية ينطبق عليها بالإجمال فإنها خرجت من الماء وصارت قرصا طافيا على وجهه ، كجزيرة فى بحر عظيم ، وهى تستمد من هذا المحيط اللامتناهي العناصر الغازية التي تفتقر إليها ، فالماء أصل الأشياء" . [٣]

ويرى بعض الباحثين أن أثر البيئة على طاليس لم يكن في أساس قوله بالماء بل كان فقط في تدعيم هذا القول وإعطاء الشواهد عليه ،

---

(١) د/ محمد غلاب – الفلسفة الإغريقية ج١ ص٧٣ ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، ط: ثانية ١٩٥٠م.

(٢) مطر – د: أميرة مطر – الفلسفة عند اليونان– ص ٢٩ – الناشر – دار مطابع الشعب – ط ١٩٦٥

(٣) انظر : أرسطو – ما بعد الطبيعة – مقالة الألف فصل ٣ ص ٩٨٣، وانظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٥٧.

ويبقى أساس الرأي : أن أصل الكون ماء مستفاد من خلال رحلات طاليس إلى الشرق ومنها مصر حيث اشتهر فيها هذا القول ، أو من خلال بقايا وحى صحيح.

والدليل على أن البيئة كان أثرها على طاليس مجرد التدعيم فقط هو أنها بعينها نفس بيئة باقي الطبيعيين الأولين وجلهم لم يقل بالماء كأصل للنشأة الكونية ، فلماذا أثرت البيئة في طاليس ولم تؤثر في غيره[١]؟!.

هذا وقد ذهب طاليس أيضا إلى أن العالم مليء بالآلهة أو النفوس[٢]

أي أن في كل شيء روحا هي سبب حركته ولذا يقول :

" إن الروح قوة محركة والمغناطيس به حياة ، أو أن المغناطيس

---

(١) د/ رضا الدقيقي – دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٢٨ وما بعـدها ، ط: ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.

(٢) يذكر ارسطو عن طاليس قوله : إن العالم حافل بالآلهة ويغلب أن يكون معناه أنه حافل بالنفوس أي أن كل فعل إنما هو من النفس ، وأن النفس منبثة في العالم أجمع ، فتكون المادة حية ، ويكون الماء المؤلفة منه الأشياء حاصلا على قوة حيوية حاضرة فيه دائما وان لم تظهر دائما . ويشترك في هذا الرأي الأيونيون . انظر – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٣ .

به نفسا لأنه يحرك الحديد" [١] .

فطاليس يعتقد بوجود قوة غامضة في الأشياء تسبب حركتها وهى الروح ، ولذا يمكن أن يعد من أتباع مذهب وحدة الوجود المادية .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن طاليس كان يقول بحلول قوة إلهية في الكون كله بل وفي كل جزء منه ، وبالتالي فلم يكن بمقدوره أن يميز بين المادة والقوة المحركة لها حيث إنها العقل أو الروح ، وقد كان هذا شأن الفلاسفة السابقين على سقراط لا سيما هوميروس حيث ساد نوع من الاعتقاد بأن الإنسان اليوناني وضع روحا شاملة في كل جزء من أجزاء الكون [٢] .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه النظرية قد أفضت بطاليس إلى الاعتقاد بأن الأرض تطفو فوق الماء كما يطفو عليه لوح من الخشب ، فالأرض من وجهة نظره تشبه قرصا مسطحا يطفو فوق الماء الذى يحيط به من جانب، وأن الشمس والقمر والنجوم بخار متألق فى أقبية من السماء الزرقاء من فوقنا وهى تدور حول البحر الذى تطوى عليه الأرض حتى تظهر فى الشرق[٣] .

---

(١) أرسطو – الحيوان ص ٨٣، وانظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٥٨ .
(٢) انظر : أرسطو – ما بعد الطبيعة – مقالة الألف فصل ٣ ص ٩٨٣، وانظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٥٨ .
(٣) انظر : كريم متى – الفلسفة اليونانية ص ٣٩ ، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧١م.

وعلى أية حال فإن حركة الكائنات الحية وغير الحية كانت مثار تفكير الفلاسفة من قديم الزمان ، وخيل إلى طاليس أن في الكائنات قوة غامضة حية هي التي تحركها فقال مرة بأن كل شيء مملوء بالآلهة ، وقال مرة أخرى بالمغناطيس الذى يجذب الحديد . وبعبارة أخرى كل شيء حي أوكل شيء فيه نفس (١) .

فقد آمن طاليس ومعه فلاسفة أيونيا الآخرون بمذهب الهيولي الحية ، وهى النظرية القائلة بوجود حياة او احساس في المادة ، وأنه لا يمكن فصل الحياة عن المادة.

واذا كان الفلاسفة الملطيون قد أقروا بوجود حياة أو نفس في الجوهر المادي ، فإن الله عند طاليس موجود في كل شيء، في الحالات أو الصور الثلاثة للمادة وفي جميع مظاهرها بل قال طاليس أيضا بوجود نفس في المغناطيس لأن فيه قوة تحريك الحديد (٢) .

ومن هنا يمكن القول بأن طاليس أول من نظر إلى الأشياء فى هذا العالم نظرة معقولة جديدة .

وإذا كان هناك تشابه بينه وبين الأساطير القديمة التي تحكى نشأة

---

(١) انظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٥٨ ، وانظر: د/ أحمد فؤادا لأهواني – فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ص ٤٨ .

(٢) انظر الفلسفة اليونانية القديمة أنواعها ومشكلاتها– ص ٧ ٢.

الكون فإن هذا التشابه لا يقلل من مكانته في الفلسفة والعلم ، فهو إذن أول من أنزل الفكر من السماء إلى الأرض ، وأول من انتقل من اللاهوت والأساطير إلى العالم ، ولا شك أن هذا له أثره العظيم في تغيير مجرى التفكير البشرى ، وسواء نجحت هذه المحاولة أم لم تنجح ، فحسبها أن تكون المحاولة الأولى التي فتحت الطريق لرواد الفلسفة والعلم من بعده ، فكان طاليس بحق أبا الفلسفة وأستاذ الإنسانية الأول في العلم والفلسفة على السواء [١]

ثانيا : نشأة العالم عند انكسمندريس [٢] :

يعد انكسمندريس أعظم فلاسفة المدرسة الأيونية لما في تفكيره من عمق وأصالة ومنطق وتجريد لا يظهر بوضوح عند أقرانه الملطين ، فقد ساهم كما ساهم أستاذه في علوم عصره وتميز بمخترعات علمية من أهمها ساعة الظل والخريطة ، كما اهتم بالبحث في الطبيعة ولكنه لم يوحد بين طبيعة الكون وبين أي عنصر كالماء أو الهواء أو النار وإنما قال

---

(١) انظر: د/ حربي محمود – الفلسفة القديمة ص ٧٧ وما بعدها.

(٢) ولد انكسمندريس عام ٦١٠ ق . م ، كان مواطنا ومعاصرا لأستاذه طاليس وخليفة له في المدرسة الملطية ، قيل بأنه أول من رسم الخرائط الجغرافية وصانع أول كرة فلكية ، كما كان له مذهبه في الفكر والفلسفة ، وقد اعتبر أن وراء العالم المرئي عالما آخر مؤلفا من كرات وأفلاك ، توفى عام ٥٤٧ ق.م . انظر : الشهرستاني – الملل والنحل ج٢ صـ ٢٥٣ ، وانظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٥٧ .

باللامتناهي أو اللامحدود ، فإذا كان طاليس قد ابتعد عن التفسيرات الميثيولوجية في تكوين العالم ، فإنه في نهاية الأمر قد انتهى إلى تفسير الكون تفسيرا يشبه الميثولوجيا ، ولكن كان أهم شيء عنده هو المنهج الذى وضعه لمن جاء بعده من الفلاسفة ، وبهذا المنهج حاول انكسمندريس أن يضع تفسيرا للكون يحل به المشكلة ، ومن ثم فقد ذهب إلى أن اللامتناهي أو اللامحدود هو العنصر أو المبدأ الأول للأشياء جميعا، وهذا اللامتناهي مختلف في طبيعته عن العناصر المادية جميعا، فهو ليس واحدا من العناصر الأربعة أو المادة التي تقع بين الهواء والنار ، ولا خليط بين المواد التي تتضمن ذلك لاختلافات نوعية محددة ، كما أن اللامتناهي هو أصل السماوات والعوالم الموجودة فيها [١] .

ومن ثم فالمبدأ الأول للأشياء المحددة المتعينة لا يمكن أن يكون محددا ومتعينا ، بل يجب أن يختلف عن العناصر المادية المعروفة ، وفى نفس الوقت يجب أن يتضمنها على نحو ما ، وهذه المادة " اللامتناهي " مزيج من الأضداد جميعا كالحار والبارد والرطب واليابس ، وهذه الأضداد في بداية أمرها مختلطة متعادلة ثم انفصلت بفعل حركة المادة ، وما زالت الحركة تنفصل بعضها عن بعض وتجمع بعضها من بعض بمقادير متفاوتة

---

(١) انظر : فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٥٨ وما بعدها ، وانظر : د/ على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص ١٢٠ ، دار المعارف ط: تاسعة ١٩٩٥ م ، و انظر : د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ص ١٥ .

حتى تألفت بهذا الاجتماع والانفصال الأجسام الطبيعية على اختلافها .

يرى انكسمندريس أن الأبيرون أو اللامتناه أو اللامحدود هو المادة الكونية الأساسية التي تتألف منها الأشياء ، وما عدا ذلك لا يمكن تفسير وجود الكائنات المتعددة الأنواع والمستمرة في وجودها ، كما لا يمكن تفسير التغييرات التي تحدث في الطبيعة .

ومن ثم فاذا كانت عمليات الطبيعة محدودة ومتناهية نتيجة مصدر محدود كما وكيفا ، فسوف تهلك قوى الطبيعة الخلافة ، ويتوقف تفاعلها ، ولذلك فإن الله اللامحدود عند انكسمندريس يكون على عكس الأشكال المحدودة للمادة التي تصدر عنه والله بوصفه لا محدود هو حقيقة ازلية أبدية ، يقع وراء حدود الخبرة المعاشة للإنسان فإذا لم نكن نراه فإننا نرى المادة في تفاعلها وظواهرها المحسوسة [١] .

ولكن كيف نشأت الموجودات عن هذا الأبيرون ؟

ترى د/ أميرة مطر أن هناك ثلاث مراحل رئيسية:

أولها حالة الأبيرون الذي لا يحده شيء ،ولا يتميز فيه شيء لأنه كل متجانس لا نهائي في الكم ولا محدد في الكيف .

أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي يسودها قانون العدالة أو ما يجب أن يكون. ويقضى هذا القانون بأن تتحد العناصر الأربعة وأن تنفصل عن الأبيرون الذي كانت كامنة به وغير متميزة فيه ، وعلى هذا يلزم كل

---

(١) الفلسفة اليونانية القديمة أنواعها ومشكلاتها . ص١٨ .

عنصر مكانه المحدد له ولا يتعدى عل غيره .

أما المرحلة الثالثة فتحدث حين تتكون العوالم والكائنات [١] .

يضاف إلى ذلك أن انكسمندريس يذكر أن أول ما انفصل " الحار والبارد" فتصاعد البخار بفعل الحار ومن هؤلاء تنتج الرطوبة ، ثم تأتى بعد ذلك الأرض والهواء والدائرة والنار التي تحيط بالأرض كالشرنقة .

وتكون الحار كرة نارية حول الهواء كما تتكون القشرة حول الشجرة ، وتمزقت هذه الكرة النارية فتناثرت أجزاؤها ودخلت اسطوانات هوائية مبططة هي الكواكب تشتعل فيها النار وتبدو لنا من فوهاتها ، فكل ما نراه من وجوه القمر ومن كسوف وخسوف ناشئ عن انسداد الفوهات انسدادا كليا أو جزئيا ، أو مما للاسطوانات من حركة تجعل الفوهات تبدو حينا وتغيب حينا آخر [٢] .

ولنا أن نتساءل : هل كان انكسمندريس ينظر إلى اللامحدود على أنه مادة أو كان يراه غير مادة ؟

ومبعث إثارة هذا التساؤل : أن انكسمندريس لم يحدد في هذا رأيا

---

(١) الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ص٤٨ وما بعدها .

(٢) انظر : د/ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٧ ، وانظر : د/ على سامى النشار – نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص ١٢٠ .

قاطعا ، والجواب يتمثل في أن اللامحدود مادى لديه . [١]

ولكن هل هذه المادة اللامحدودة غير محدودة من حيث الكم والكيف معا أو من حيث الكيف فقط ؟.

لقد وقع خلافا بين الباحثين بخصوص هذا الأمر سببه ترجمة الكلمة اليونانية (أبيرون) أهي تعنى اللامحدود أو اللانهائي أو اللامتعين أو المبهم، فإذا ترجمت الكلمة إلى اللامتعين انصرف المعنى إلى الكيف فقط ، وإذا ترجمت الكلمة إلى اللامحدود أو اللامتناهي أضيف إلى الكيف الكم أيضا [٢].

وبرغم هذا الخلاف فإنه بإمكاننا أن نرجح كونها لا محدودة من حيث الكيف والكم معا ؛ لأن هذا – وحدة – يتفق مع دعوى (تعدد الكون) التي قال بها انكسمندريس ، فلو كانت مادة النشأة محدودة كما كانت قد استنفذت منذ فترة طويلة في خلق العوالم المتعددة وفنائها ، فمادة

---

(١) انظر :أرسطو – الطبيعة ج١ ص ٣٤ وما بعدها ، وانظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) انظر : د/ جعفر آل ياسين – فلاسفة يونانيون (العصر الأول) ص ٣٠ ، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧١م ، وانظر : د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٥٧، وراجع : د/ رضا الدقيقي – دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٣٥ .

انكسمندريس إذن لا محددة كما وكيفا [١] .

أما عن خلق العالم وتكوين الأشياء فقد ذهب انكسمندريس إلى أن الأرض جسم اسطواني وأنها ذات مقياس يعادل ثلاث مرات الطول الخاص بها ، وأن حجم الشمس والأرض متساويان ، بل ذهب إلى القول أيضا بأن الشمس أكبر من الأرض بسبع وعشرين مرة ، وأن الأرض مغلقة في الفضاء ومحوطة بالأوقيانوس وبحلقات كبيرة رأسية (شمسية وقمرية ونجمية) .

كما يؤمن انكسمندريس بأن العالم المرئي لا يوجد وحده فهناك بعيدا عن سعة الفضاء فيما وراء الكرة التي تحيط به كرات أخرى مشابهة تؤدي غالبا متشابها ،وليس لهذه العوالم على كل حال إلا حياة سريعة الزوال ، فالفضاء الشاسع يبتلعها من جديد بعد انفصالها عنه.[٢]

هذا ويعد انكسمندريس أول من وضع نظرية في التطور "مذهب

---

(١) د/ رضا الدقيقي – دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٣٥ ، والمقصود بهذه الدعوى أن انكسمندريس كان يعتقد أنه كان في البداية عالم ثم تطور وانهار ثم ولد عالم آخر وهكذا ، وأن هذه الدورة مستمرة إلى الأبد ، والبعض الآخر يرى أن انكسمندريس كان يعتقد أن هذه العوالم موجودة في وقت واحد . راجع : المرجع السابق .

(٢) البير ريفو : الفلسفة اليونانية ـــ أصولها وتطوراتها – ترجمة د عبد الحليم كحمود ، أبوبكر ذكري ص ٥٠ – الناشر مكتبة دار العروبة – القاهرة – ١٩٨٥ م .

النشوء والارتقاء" بدرجة تجعله قريبا جدا من دارون وفروضه التي أقام عليها نظريته في العصر الحديث .

وقد نشأت الكائنات الحية عند انكسمندريس من ماء البحر ، حين أخذت الشمس تبخرها، عندئذ ظهرت المخلوقات أو حيوانات سليلة للأسماك التي سرعان ما تطورت إلى أشكال أرقى ، وذلك بعد أن كانت حياتها على الأرض ، ومن نتيجة هذا التكييف أن ظهرت الأنواع البشرية .

فالكائنات الحية هي الكائنات البحرية أو المائية والتي تطورت فخرجت إلى اليابسة ، ومنها خرج الإنسان. فالإنسان تسلسل في رأيه من سمكة [١] .

اختلف المحدثون في قيمة نظرية التطور التي نادى بها انكسمندريس في القرن السادس، ويعد بذلك سابقا لدارون بقرون عديدة، ونظرا لأهمية هذه النظرية فيحسن أن ننقل نصوص القدماء الباقية منها : "نشأت الكائنات الحية من الرطوبة ، بعد أن تبخرت بالشمس . وكان الإنسان كغيره من أنواع الحيوان ، فكان في البدء سمكا" ، "ايبوليتوس" "تولدت أول الحيوانات في الرطوبة وكان كل منهما مغلفا بقشرة كثيرة الأشواك. فلما تقدم بها الزمن انتقلت إلى أجزاء أكثر يبوسة ، ولما نفضت

---

(١) انظر : فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٦٨ وما بعدها ، وانظر : أحمد أمين ، ود/ زكى نجيب محمود – قصة الفلسفة اليونانية ص ١٨ ، ط: ثامنة ، مكتبة النهضة المصرية بدون ، وانظر: د/حسين صالح حمادة – الفلسفة اليونانية ج١ ص ٨٥، دار الهادي – ط: أولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

عنها قشرها لم تعش إلا فترة قصيرة من الزمن" اسيوس، وأيضا فإنه يقول: " بأن الانسان تولد أصلا من أنواع أخرى من الحيوانات ، وعلة ذلك أن سائر الحيوانات الأخرى تلتمس نفسها بسرعة، أما الإنسان وحده فيحتاج إلى زمن طويل من الرضاعة ، وبناء على ذلك فلو كان الإنسان في الأصل كما هو الآن ما عاش أبدا " فلوطرخس " .

من هذه النصوص التي يرجع فيها انكسمندريس أصل الحيوانات إلى الماء، يتبين أن نظريته شبيهة إلى حد كبير بالنظرية الحديثة . وليس القول بأن أصل الحياة من الماء جديدا ، فهي أسطورة شائعة عند البابليين والمصريين .

ولذلك اختلف تقدير المحدثين لهذا الفيلسوف ، فبعضهم يرفع من شأنه علميا وبعضهم يصوره فيلسوفا اسطوريا . وقد واجه ارسطو نفس المشكلة وقال بما يسميه التوليد الذاتى وهو تولد الذباب والدود من الرطوبة مع حرارة مناسبة (١) .

وقد اختلف مؤرخو العلم والفلسفة في انكسيماندريس، هل كان مبشرا بمذهب داروين ؟أم أنه كان مفكرا أسطوريا ؟

إنه من الممكن القول بأن انكسيماندريس كان يدرك فكرة التكيف البيئي وبقاء الأصلح وكان يدرك أيضا أن الحيوانات العليا لا تمثل إطلاقا أصل النوع الإنساني فاتجه إلى البحر والأسماك .

---

(١) فجر الفلسفة اليونانية ص ٦٢ وما بعدها .

وقد صاغ انكسمندريس بعد ذلك نظرية في تناسخ الأرواح [١].

ويعتمد رأيه فيها على أن المادة الكونية تخلق نفسها ثم تتحلل ثم تعيد خلقها بنفسها من جديد في عملية حيوية مستمرة من التحولات العديدة التي لا تنتهي قط [٢]

تعقيب :

مما سبق يتبين أن انكسمندريس قد فسر تكوين الأشياء تكوينا آليا وأن هذا التكوين قائم على مجرد اجتماع عناصر مادية وافتراقها بتأثير الحركة دون علة فاعلية متمايزة ودون غائية.

ويلاحظ عليه في هذا التوجه أنه كان مأخوذا بالصراع القائم بين الأشياء المتضادة من حار وبارد ويابس ورطب ، والغلبة هي للبارد والرطب على اليابس والحار ، وجوهر الأشياء لا يتعدد بل هو واحد ، لذلك تتلاشى الأضداد ويكون الدور فتخرج الأشياء من اللامتناهي وتعود إليه ويتكرر الدور إلى مالا نهاية .

ومن هنا يمكن القول بأن انكسمندريس قد خطا بالعلم والفلسفة خطوات هامة حين فسر الوجود بهذا العنصر اللامادي فجعله يتجاوز البحث

---

(١) يطلق بعض الباحثين على هذه النظرية تعبيرا اصطلاحيا آخر هو "تجوال النفس" وقد يطلق عليها "التناسخ" فقط ، ويطلق عليها كذلك "تكرار المولد "، والتناسخ :رجوع النفس عند خروجها من جسم إلى العالم الأرضي في جسم آخر. انظر الفلسفة اليونانية القديمة ص ٣٤ .

(٢) الفلسفة اليونانية القديمة ص ١٩.

في الأشياء إلى البحث عن المفاهيم ، وأن هذا المفهوم أي اللامتناهي (الأبيروني) ليشهد بقدرة انكسمندريس العجيبة على التجريد الذى لم يبق له مثيل من قبل ، لذا فإنه يلتقي مع أستاذه طاليس بقوله بالواحد فى أصل الكون ، وقوله بأن البارد تصدر عنه الأشياء ، ويختلف عنه بقوله بمبدأ غير محدد ، لذلك كان فكره أعمق من فكر أستاذه .

ثالثا : نشأة العالم عند انكسيمانس [١] :

يعد انكسيمانس هو ثالث الفلاسفة الكبار للمدرسة المالطية ، يختلف عن صاحبيه طاليس وانكسمندريس في تفسيره لطبيعة المادة الكونية، فإذا كان طاليس قد وجد بغيته في مادة " الماء" بوصفها مصدرا وحيدا للأشياء، وإذا كان انكسمندريس قد ذهب إلى أن أصل الكون هو اللامحدود أو اللامتناهي ولم يحدد تحديدا دقيقا – كما سبق – فإن انكسيمانس قد ذهب إلى أن أصل الكون شيء محسوس هو الهواء ، إذ الهواء – من وجهة نظره – نشأت منه الأشياء الموجودة التي كانت موجودة والتي سيكون لها وجود خلقت منه الآلهة والأشياء المقدسة في أن غيرها نشأت من

---

(١) ولد عام ٥٨٨ق.م ، وكان عالما وفيلسوفا وتلميذا وخليفة لانكسمندريس ، كما كان آخر فلاسفة المدرسة الملطية ، ألف كتابا لم يبق منه إلا عبارة واحدة لا تزيد الروايات التي تؤرخ له على صفحات قليلة ، توفى عام ٥٢٤ ق.م . انظر : جورج سارتون – تاريخ العلم – ترجمة د/ أحمد فؤاد الأهواني ج١ ص ٣٧٤ – دار المعارف

أنسالها.[١]

وهنا قد يرد على الذهن سؤال مفاده ما الذي جعل أنكسيمانس يعود بذهنه وفلسفته إلى اعتبار الهواء أصلا للأشياء ؟

وللإجابة على هذا نرى أن الباحثين قد ذهبوا إلى القول بأن انكسيمانس ذهب إلى أن الهواء متناه ويحيط بالعالم ويحمل الأرض وهو ألطف من الماء ولا يفتقر إلى قاعدة، كما أنه أسرع حركة وأوسع انتشارا كما أن الهواء هو أكثر العناصر المادية قابلية للحركة والتغير ،كما يوجد في كل مكان ، بالإضافة إلى أهميته الضرورية في نمو جميع الأشياء الطبيعية ،ومن ثم استمرار الحياة نفسها كما يعد الهواء – في نظر انكسيمانس – المادة الطبيعية الوحيدة التي تساعدنا على الوصول إلى فهم الواقع وأصوله [٢] .

يقول د يوسف كرم : " إن الهواء عند انكسيمانس لا متناه يحيط بالعالم ويحمل الأرض ، ولسنا ندرى على وجه التحقيق السبب الذى حدا به إلى إيثار الهواء ، فقد يكون أن الهواء ألطف من الماء ، وأنه يقوم بذاته ، بينما الماء يسقط إن لم يرتكز إلى قاعدة ، وأنه أسرع حركة وأوسع انتشارا وأكثر تحقيقا للامتناهي ، وقد يكون أن علة الكائن الحي النفس ،

---

(١) انظر: ريكس وورتر – فلاسفة الإغريق – ترجمة عبد الحميد سليم ص ١٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

(٢) انظر الفلسفة اليونانية القديمة انواعها ومشكلاتها ص١٩ وما بعدها

والنفس هواء ، فالهواء نفس العالم وعلة وحدته " .[١]

بينما يرى د/ عبد الرحمن بدوي أن الهواء الذي قال به انكسيمانس شيء لا نهائي، وهذا الهواء يتحرك حركة دائمة ، أما عن طبيعة هذه الحركة فهي موضع خلاف بين المفكرين حيث يرى البعض أن الحركة التي يتحرك بها الهواء هي الحركة الدائرية ، والبعض الآخر يرجح أن تكون الحركة هي حركة الدوامة ... وعلى كل حال فلسنا نستطيع نقطع برأي في هذه المسألة .[٢]

ومن ثم فإنه يفاضل هنا بين الهواء وبين غيره من العناصر التي ذهب إليها كل من طاليس وانكسمندر وهى محاولة عقلية مبكرة تحاول أن تفاضل بين الأشياء وتختار أكملها وأشملها

ويضيف جورج سارتون تعليلا آخر فيقول:-

" يمكن أن يضغط الهواء أو ينتشر إلى ما لا نهاية له ، والهواء مادي جدا ، ومع ذلك يعمل إلى أن يصبح غير مادى بل روحيا "[٣]

كيفية نشأت الموجودات من الهواء :

ذهب انكسيمانس إلى نظرية التكاثف والتخلخل ، ومعناها : أن

---

(١) د/يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩

(٢) عبد الرحمن بدوي ربيع الفكر اليوناني ص ١٠١.

(٣) جورج سارتون – تاريخ العلم ج١ ص ٣٧٣

الموجودات تحدث من تكاثف الهواء وتخلخله ، فبتخلخل الهواء ينتج النار وما يفصل بها من الظواهر الجوية ، وتكاثفه ينتج الرياح والسحاب والمطر، وتكاثف الماء ينتج التراب فالصخر وهكذا

وتجدر الإشارة إلى أن نظرية التكاثف والتخلخل تؤدي إلى الآلية وعدم العلة الفاعلة العاقلة الغائية ، لذا فإن انكسيمانس يعتبر أن العالم يعمل بعلة واحدة تعمل على نحو آلي ، ولذا يقول:-

" تماما كما تفعل نفوسنا لو كانت هواء على تماسكنا فكذلك يفعل التنفس والهواء في إحاطتهما بالعالم بأسره ".[١]

فالهواء هو الذى يحيط بالعالم ويوجده ويحفظه ، كما أن الهواء هو الذى يعمل على تماسك النفس ويمنعها من الموت.

لذلك فإن الأصل أو المنشأ الذي يحدثنا عنه انكسيمانس – وهو الهواء بوصفه الجوهر الأساسي – يحتوى على جميع خواص الأنواع المختلفة للمادة عن طريق التكاثف والتخلخل، فعندما يتكاثف الهواء يتحول الى العناصر الأخرى مثل الأرض والصخور ،وعدما يتخلل يتحول إلى نار ،ونحن ندرك التكاثف في صورة البرد ،والتخلخل في صورة الحرارة ،فهناك اذن ايقاع دائم في هذه الحركة الدائرية الخالدة ،حيث نجد جميع عناصر الكون توجد ثم تنتهي في تتابع دائم لا ينقطع .

إن علة التكاثف والتخلخل هي الحركة : وهي صفة للمادة فطن

---

(١) جورج سارتون – تاريخ العلم ج١ ص ٣٧٣ ، وانظر عبد الرحمن بدوي – ربيع الفكر اليوناني ص١٠٢.

إليها معظم كبار الفلاسفة والعلماء . فهذا ارسطو يعرف الطبيعة بأنها مبدأ حركة الجسم وسكونه . وأهم صفات المادة عند ديكارت الامتداد والحركة. وليس للحركة عند انكسيمانس علة أخرى غير ذاتها . فالهواء بطبيعته في حركة دائمة ، أي له في ذاته هذه القوة ولا يفترض مبدأ أول للحركة غير هذا . الحق إن تعليل الحركة الأولى في الطبيعة وكذلك أصل الحياة من أصعب الأمور حتى اليوم. وعند انكسيمانس أن الصلة بين الحركة وبين التخلخل شديدة ، فالرياح بخار متحرك والسحاب بخار أقل حركة. والماء أقل حركة من السحاب أكثر من الأرض، وهكذا .

كما يذهب انكسيمانس إلى أن الشمس أرض ، ولكن قوتها المحرقة الملتهبة ترجع إلى سرعة حركتها التي تجعلها شديدة الحرارة ، وكان هذا التصور في غاية الجرأة في زمان اعتقد الناس فيه بألوهية الأجرام السماوية ، حتى لقد حكموا على بروتاجوراس بالنفي من آثينا لقوله :بأن الشمس قطعة ملتهبة من الحجر [١]

ويستخلص من ذلك أن قول انكسيمانس بنظرية التكاثف والتخلخل يعد أرقى وأوسع فكرا من أستاذه انكسمندريس ، فقد وافقه عندما قال أن أصل الوجود المبدأ اللانهائي ، ولكن خالفه حين رأى أن هذا المبدأ يجب أن يكون معينا بالكيف ؛ إذ الهواء يحمل الصفتين : اللامحدودية ثم التعين من ناحية الكيف ، ويختلف مع طاليس في اعتباره الهواء لا الماء المبدأ الأول

---

(١) الأهواني – فجر الفلاسفة – ص ٦٧ .

،وهذا الهواء غير مرئي ،فهو اذن ينطبق على الهواء الذي نعرفه هو النفس الذي نستنشقه ،وهو الرياح التي تهب ، وهو أيضا اذا تكاثف أصبح رطوبة وبخارا ،وهو أيضا اذا تكاثف أصبح ظلاما ،وهو يحيط بالعالم ويحمل الأرض ، فالهواء هو مصدر الحياة ، والأجسام والأشياء تنتج جميعا عن الهواء بواسطة حركة مثنوية في التكاثف والتخلخل ، ومن ثم فتفسيره للعالم آلي وهو بهذا متأثر بأستاذه ، لكن الجديد في مذهبه هو أن الهواء يتحرك حركة بسيطة هى حركة تكاثف وتخلخل.

و الذى أراه أن ما توصل إليه انكسيمانس من القول بالتخلخل والتكاثف يعد من الأفكار الفلسفية المبتكرة من جانبه والتي كان لها الأثر الواضح في اكمال بغض من جوانب هذه المدرسة كما تعد نظريته من النظريات الهامة التي لا يجحد فضلها على الإنسانية حيث إنه انتقل بفكره وفلسفته من الأساطير إلى البحث العلمي وكانت الملاحظة أول مراحل المذهب التجريبي فيما بعد .

وعلى ذلك أسهم المفكرون الملطيون اسهاما جادا في نشأة الفلسفة في العالم الغربي ، وقد برهنت طريقة هذه النشأة على أن فلسفتهم كانت تساير إلى حد كبير تطور العلوم في ذلك الوقت ، إذ اهتموا أساسا بالمعرفة العلمية ، وعلى نحو دقيق بالمعرفة التي تدور حول العالم الطبيعي ، وهو ذلك الاهتمام الذي كان محل أنظار العلماء في العصر الحديث.

وفي ذات الوقت يعتبر الفلاسفة الملطيون هم أول من فكروا في البحث عن اجابات نهائية ومحددة عن الطبيعة الحقيقية للعالم .

رابعا : نشأة العالم عند هيراقليطس [١] :

إذا كان كل من طاليس وانكسيمانس قد ذهبا إلى القول بأن أساس نشأة الكون الماء والهواء ؛ إذ لاحظ طاليس تغيرات الماء ، بينما لاحظ انكسيمانس تشابها بين الهواء ونفس الإنسان ، فإن هيراقليطس قد رأى أن النار هي المادة الوحيدة التي نشأ منها الكون ؛ وذلك لأنها تحقق – من وجهة نظره – صفة الصيرورة الدائمة في الكون ، ولذا يقول :

" كل الأشياء مركبة من النار ، ومن هذه النار نشأ العالم والكون ، وإليها يعود أيضا ، والنار مصدر العناصر الأخرى حيث تصير هواء ، والهواء ماء ، فالماء يصير أرضا "[٢]

وفي هذا نظر ؛ لأنه لم يقدم دليلا يذكر على الارتباط بين كون

---

(١) ولد هيراقليطس عام ٥٣٥ ق.م ، نشأ في أفسس بآسيا الصغرى ، تدرج في مناصب الحكم فيها حتى كان يوما حاكما لها ، كان شديد الغرور والاعتداد بنفسه ، عرف أسلوبه بالغموض ، توفى عام ٤٧٥ق.م. انظر: وولترستيس – تاريخ الفلسفة اليونانية – ترجمة مجاهد عبد المنعم ص ٦٩ ، دار الثقافة ١٩٨٤م. ، برتراند رسل – حكمة الغرب ، ترجمة فؤاد زكريا ج١ ص ٤٣ ، الكويت ١٩٨٢م.وانظر: صمويل نوح كريمر – أساطير العالم القديم ، ترجمة أحمد عبد الحميد – مراجعة عبد المنعم أبو بكر ص ٢٤١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .

(٢) انظر : هيراقليطس – الطبيعة – فقرة ٣٦ .

العالم فى صيرورة مستمرة وبين أن يكون أصله النار . [١]

ويقول أيضا في موضع آخر: "أن هذا لعالم ، وهو واحد للجميع ، لم يخلقه اله أو بشر ، لكنه كان منذ الأزل وهو كائن وسوف يكون إلى الأبد نارا حية تشتعل بحساب وتخبو بحساب " [٢]

فمبدأ الأشياء كلها ومنهاها ليس مخلوفا لإله أو بشر ، وإنما هو مادة فيها مبدأ الخلق والحياة والتغير وهى النار .

وتجدر الإشارة إلى أن رأيه في النشأة الكونية وأصلها كان مرتبطا برأيه في الميتافيزيقا حيث ذهب إلى أن الأشياء في تغير متصل وسيلان دائم ، فكل شيء يسيل ولا يبقى ثابتا. [٣]

وجوهر فلسفة هيراقليطس أن كل شيء يخضع للسيلان الدائم والتغير المتصل، ولا يبقى شيء ثابت والحقيقة النهائية هي أن الأشياء المتضادة تتحول باستمرار ويؤكد هيراقليطس على وجود صراع بين الأضداد في الأشياء ، وللصراع السيادة الحقيقية والسيطرة على العالم والقانون العام الذي ينظم الوجود هو التغير وعدم الثبات والتجدد المستمر فليس الوجود أو العالم كاملا أو نهائيا يصبو إلى غاية ما ، أو يمكن أن

---

(١) راجع : د/ رضا الدقيقي – دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٤٦ .
(٢) مطر – الفلسفة عند اليونان ص٤١ .
(٣) انظر : هيراقليطس – الطبيعة – فقرة ٥٣ ، وانظر : فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ٦٨ وما بعدها

يصل إلى مرحلة الكمال وقد عبر عن ذلك بقوله : "جميع الأشياء تسيل ولا شيء يبقى" .[١]

وفي هذا الصدد أيضا يذكر قوله المأثور :"لا يمكن للإنسان أن ينزل النهر نفسه مرتين ، لأن مياها جديدة تغمره باستمرار " .[٢]

وهذا يعنى أن النهر الذي يشير إليه هيراقليطس في المرة الأولى ليس هو نفسه النهر الذي ننزل فيه في المرة الثانية لأن مياهه تتجدد أو تتغير باستمرار ، والعالم مثل النهر في حركة دائمة كماء النهر في مجراه ليس فيه ثبات على الاطلاق .

يتضح مما سبق: أن هيراقليطس وجد الأشياء دائمة الجريان ، دائمة التغير والتحول تخضع للاستحالة والصيرورة بوصفها الحقيقة السائدة في الكون اذ تتبدل الأشياء وتتحول من حال الى حال ،دون سكون أو ثبات لحظة واحدة

وعنده أن لا شيء يدوم على حال لحظتين متتاليتين ، كما يتحول الإنسان من طفل إلى شاب ،ومن شاب إلى كهل فهو لا يدوم على حال ، وكتب عليه التغير بين لحظة وأخرى ،وليس الزمان وحده عند هيراقليطس

---

(١) هيراقليطس – الطبيعة – فقرة ٥٦، انظر فرج: الفلسفة اليونانية القديمة ص ٤٧ وما بعدها .

(٢) هيراقليطس – الطبيعة – فقرة ٥٧ .

في حركة دائمة بل إن العالم المحسوس بأكمله في حالة تحول مستمر .[١]

وعلى هذا يكون مخالفا للمدرسة الإيلية القائلة بالثبات ونفى التغير.

وفكرة التغير في المذهب الهرقليطى ليست فكرة جديدة على صعيد الفكر الفلسفي ولكنها قديمة في الفلسفة ، أما الجديد الذى أتت به الفلسفة هو أن التغير كلمة نسبية وأن ما ندعوه سكونا هو تغير في رداء خفى، وأن كل مركب إنما يتحلل تدريجيا ، فكل شئ يأتي ويذهب ويحدث هذا بنسب مختلفة [٢]

ونتساءل : ما حقيقة النار التي قال هيراقليطس بأنه أصل الكون ؟.

هل كان يعنى بها النار المحسوسة التي هي أحد العناصر الطبيعية التي منها الماء والهواء أم هي فرض عقلي ومبدأ ميتافيزيقي يرمز لحقيقة التغير ؟

لقد ذهب بعض المحدثين إلى القول بأنها النار المحسوسة معتمدين في ذلك على شهادة القدماء وخاصة ارسطو وشراحه الذين يعدون هيراقليطس في زمرة القائلين بأحد العناصر المادية مبدأ الكون الطبيعى .

---

(١) فرج : الفلسفة اليونانية القديمة أنواعها ومشكلاتها ص ٤٨ .
(٢) د/حربي محمود – الفلسفة القديمة ص ١٢٦

لكننا اذا استبعدنا طريقة التميز الكامل بين المحسوس والمعقول في تفسيرنا لفلسفة هيراقليطس فسوف تجد أن المعنى العينى المحسوس لا يتنافى مع التصور العقلي الميتافيزيقى .

فالنار المحسوسة التي هي المبدأ المادي للوجود من جهة أخرى مبدأ روحاني عقلى ميتاقييزيقى ،لأنها رمز للتغير المستمر في الوجود وهي القانون والمقياس الثابت له أو هى "اللوغوس" (١) الإلهي كما يسميها هيراقليطس، وهى مصدر الضوء والحرارة والحياة في كل شيء . ولكن كيف يتم التغير فتتمايز العناصر الطبيعية وتختلف الأشياء عن بعضها ؟

يقول هيراقليطس : "وهذه هي الصور التي تتحول إليها النار ،أولا البحر ثم نصف البحر أرض ونصفه الاخر أعاصير أو ينابيع" (٢)

وتفسير ذلك: أن النار تتحول إلى حالتين هما الماء والأرض فتكون الثلاث حالات الرئيسية هي النار والماء والأرض ولكن هناك جزء من الماء يتحول إلى هواء ونار وهذه الظاهرة يسميها البعض بأنها

---

(١) اللوغوس :هو مبدأ عقلي يسيطر على كل شيء كما يدير العملية الكونية وفقا لقانون ثابت ، كما يضع نظاما لسير عمليات الطبيعة من فعل ورد فعل، وهذا اللوغوس هو القانون العام الذي يسير عليه الوجود في تغيره ،وهو الشيء الوحيد الثابت في هذا الوجود الدائم السيلان وهو الله وهو النار.انظر د عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني ،ص ١٤٠

(٢) هيراقليطس – الطبيعة – فقرة٢٢

أعاصير والبعض الآخر يسميها ينابيع. (١)

أما عن كيفية نشأة الكون عن النار لدى هيراقليطس فإنه يرى أن الكون قد نشأ في أول الأمر بأن تحولت النار الأولى إلى هواء ، والهواء إلى ماء ، والماء إلى يابس ، وهذا ما يطلق عليه بالطريق إلى أسفل ، ويقابله الطريق إلى أعلى ، وهو تحـــول اليابس إلى ماء ، والماء إلى هواء ، والهواء إلى نار مرة أخرى (٢).

وخلاصة القول فقد بنى هيراقليطس رأيه في خلق الكون على أساسين :

الأول: الصيرورة والتغير المستمران.

الثاني: وحدة المادة المعتبرة أصلا.

وفى هذا نظر:

إذ الأول : يقتضي أن كل كائن جزئي هو كذا وليس كذا في آن واحد ، وبهذا لا يستطيع أحد وصفه بأية خصائص دائمة ، ويترتب على ذلك استحالة العلم ، ولقد مهد هذا سبيلا للسوفسطائيين حتى يتخذوا من الشك منهجا.

---

(١) مطر – اميرة حلمى – الفلسفة اليونانية – ص٤٢

(٢) انظر: هيراقليطس – الطبيعة – فقرة ٣٦، وانظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيـــع الفكر اليوناني ص ١٣٩ ، وانظر: أ :أحمد أمين ، ود/ زكي نجيب محمـــود – قصة الفلسفة اليونانية ص ٥٣

والثاني : يؤخذ عليه فيه – كما يؤخذ على جميع أتباع مذهب وحدة المادة – أن إسناد الوجود إلى مادة واحدة يعنى أن شيئا واحدا هو الموجود، وأن ما عداه مظاهر وظواهر [١]

وعلى الرغم من هذه المآخذ على مسلك هيراقليطس في هذه المشكلة إلا أنه يعد امتدادا للنزعة المادية الواحدية المتمثلة في المدرسة الأيونية ، حيث ذهب إلى أن النار هي أصلا لوجود ومصدره ، وأقر التغير والتحول داخل الوجود كما ذهبت هذه المدرسة ، كذلك فإنه ذهب مثلما ذهبت إلى أن النار حية عاقلة وتتحكم في سير الطبيعة بأسرها.

ومن أجل هذا ذهب البعض إلى أن مفهوم الطبيعة عند هيراقليطس هو بعينه مفهوم الطبيعة كما تصورته المدرسة الأيونية اللهم إلا أن هيراقليطس قد أضاف أن المبدأ نفسه " النار " فى صيرورة ، وبذلك كان أول فيلسوف يلغى ثبات الجوهر المادي الكائن وراء الصيرورة ، فالطبيعة هنا قد احتفظت بمعناها المادي الحيوي المحسوس ، ومن ثم فهي حية شاعرة منمية ومولدة [٢]

وعلى هذا يتبين أن للطبيعيين الأولين في الفلسفة أثر لا يمكن

---

(١) انظر: هيراقليطس – الطبيعة – فقرة ٣٦، وانظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٣٩ ، وانظر: أ :أحمد أمين ، ود/ زكي نجيب محمود – قصة الفلسفة اليونانية ص ٥٣ .

(٢) انظر : د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ص ٤٩

إنكاره ، وهــذا الأثر يتمــثل فى أنهم:

أ – يعدلون بالمرة عن تفسير العالم بالرواية عن الآلهة وبتأليه القوى الطبيعية ، وينظرون إلى الموجودات نظرة واقعية ، ويحاولون الاستقراء والبرهنة وتفسير الموجودات بفاعلية بعضها في بعض ، وهذه خطوة كبرى وضعت أسس العلم بالمعنى الذى نفهمه .

ب – يعتقدون بوحدة الوجود [١] ، أي بمادة ثابتة غير حادثة ولا مندثرة ، ويتصورون هذه المادة حاصلة على قوى حيوية باطنة وإن لم تظهر دائما تدفعها إلى التطور على نحو آلي .

أي بمجرد اجتماع أجزائها وافتراقها أو تخلخلها وتكاثفها دون علة فاعلية متمايزة فدعوا بأصحاب المادة الحية تتكون منها الموجودات وتنحل إلى ما لا نهاية ، وما المذهب المادي الحديث إلا هذا المذهب القديم لا اختلاف بينهما إلا في الشواهد العلمية .

ج – يمهدون لنظرية العناصر الأربعــة والتي ستظل ســائدة إلى أن

---

(١) هو مذهب الذين يوحدون الله والعالم ويزعمون أن كل شيء هو الله ، وهو مــذهب قديم أخذت به البراهمانية والرواقية والأفلاطونية الجديدة والصوفية ، ولهــذا المذهب صور عديدة كمذهب وحدة الوجود لدى اسبينوزا الذى يقرر أن الله هو الموجود الحق ، ووحدة الوجود المثالية لدى هيجل الذى ذهب إلى القول بــأن الباري تعالى هو الروح الكامن في الأرواح الجزئية...إلخ .انظر جميل صليبا – المعجم الفلسفي ج٢ ص ٥٦٩ ، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢م .١

يبطلها (لافوذاييه) في القرن الثامن عشر فإنهم يعتبرونها القوى الكبرى في الطبيعة أو المظاهر الكبرى للمادة المتحركة المتحولة باستمرار.

المطلب الثانى

مشكلة نشأة العالم لدى المدرسة الفيثاغورية [١]

نشأة العالم عند فيثاغورث :

عندما حاول الفيثاغوريون تفسير طبيعة الكون ، رأوا أن تفسير الكون المادي الذي قال به السابقون عليهم يثير صعوبات من أهمها :

١ – أنه لو اتصف مبدأ الكائنات الطبيعية بصفة من صفات أحد العناصر المحسوسة فإنه لن يكون مبدأ سابقا عليها في الوجود.

٢ – لو فسرنا جميع الكائنات بمادة واجدة فما الذي يميزها عن بعضها ويحدد لكل نوع منها صورته الخاصة به .[٢]

٣ – كما أهملت المدرسة الأيونية العلة الفاعلة إهمالا تاما بحيث أن هذه العلة لم يكن لها دور في هذه المدرسة ، فقد تحدثوا عن صدور الأشياء عن الأصل وتحددها وتميزها عن غيرها ، ولكنهم لم يبينوا العلة الحقيقية الفاعلة لذلك ، صحيح أن العلة الفاعلة عندهم

---

(١) تنسب هذه المدرسة إلى فيثاغورث الذى عاش ما بين ٥٧٢ / ٤٩٧ ق.م في ساموس في جزيرة أيونية ، ولما ناهز الأربعين من العمر أنشأ فرقة دينية مفتوحة للرجال والنساء من اليونان والأجانب على السواء. انظر: د/ ماجد فخرى – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٣ . .

(٢) مطر – الفلسفة عند اليونان–ص٥٠

موجودة وأنها باطنة في العالم وليست مفارقة له ، ولكن لا نرى لهذه العلة دورا فعالا ومؤثرا .[١]

ولقد وجد فيثاغورث وأتباعه حل هذه الصعوبات في ملاحظاتهم على الصوت أو في السمعيات .

فمن تلك الملاحظات أن اختلاف الأنغام الموسيقية الصادرة عن أوتار القيثارة لا ترجع إلى اختلاف المادة المصنوعة منها تلك الأوتار، ولكن يرجع اختلاف الأنغام إلى اختلاف طول الأوتار، ومن ثم تختلف الذبذبات التي تحدثها هذه الأوتار .

من خلال ذلك توصل الفيثاغوريون إلى فكرتهم الجديدة في تفسير طبيعة الأشياء، فما دام العدد هو الحقيقة المعقولة المفسرة لظاهرة الصوت المحسوسة فيمكن أيضا أن يكون هو الحقيقة المعقولة المفسرة لجميع الأشياء سواء منها المحسوسة او العقلية .

وانتهوا من كل ذلك إلى أن العلة والحقيقة المفسرة للموجودات ، ليست المادة ولكن العدد الذي يمكن أن نعبر عنه بالشكل الهندسي أو كما كان يسمى باليونانية بالأيوس أي الصورة المرئية . [٢]

وتتلخص أراء المدرسة الفيثاغورية في أن الأعداد هي مبادئ الأشياء جميعا وأصول طبائعها. وربما كان مصدر هذا الاعتقاد التوافق

---

(١) انظر: د/ فيصل عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ص ٢٥ وما بعدها.
(٢) المصدر السابق ص ٥١ .

والانسجام الذي استخلصوه من دراستهم للأعداد والأشكال والحركات والأصوات ،وما يسودها من توازن عجيب ، وما لها من قوانين ثابتة صرفت عقولهم إلى ما في العالم من نظام وتناسب ، فالعالم في الحقيقة عندهم عبارة عن أعداد .[١]

وقد شجعهم على هذا القول أنهم لم يكونوا يتمثلون العدد مجموعا حسابيا بل مقدارا وشكلا ، ولم يرمزوا له بالأرقام بل صوروه بنقط عل قدر ما فيه من آحاد ، ورتبوا هذه النقاط في شكل هندسي ، فالواحد النقطة ،والاثنان الخط ، والثلاثة المثلث ،والأربعة المربع ،وهكذا فخلطوا بذلك بين الحساب والهندسة.[٢]

وهنا نجد المدرسة الفيثاغورية وقد أتت بتفسير جديد إذ رأت أن أصل الأشياء هو العدد وسواء أكانت الأشياء أعدادا أو أنها تحاكى الأعداد فإن جوهر الأشياء عند الفيثاغورية هو العدد وفيما يلى بيان ذلك:-

لقد حاول الفيثاغوريون أن يحلوا مشكلة تفسير العالم وبيان نشأته عن طريق الأعداد ، وحاولوا في هذا الصدد محاولة جديدة بها أدخلوا على الطبيعة تصورا جديدا كل الجدة ، فلا شك أن إدخال العنصر الرياضي في تفسير العالم مضافا إليه العنصر العقائدي عند الفيثاغورية أدى إلى تصور جديد ، فبدلا من الهيئة المادية التي وضعتها المدرسة الأيونية نجد أن

---

(١) انظر د – أبو ريان – تاريخ الفلسفة اليونانية –ج١ – ص ٦، وانظر د يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢٢ .

(٢) انظر د – عميرة – الفلسفة القديمة ص٤١ ،٤٢ .

الفيثاغوريين قد ذهبوا إلى أن العالم مصنوع من الأعداد ، فكلما وجد في الكون عبارة عن أعداد ؛ ولأن الأعداد أصلها الواحد كان الواحد أساسا للوجود منه نشأ وتكون ، ولذا يقول أرسطو حاكيا عنهم:

" رأوا أن هذا العالم أشبه بعالم الأعداد منه بالماء والنار والتراب ، وقالوا : إن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات أو أن العالم عدد ونغم"(١)

ولئن كان مجهود المدررسة الفيثاغورية في ذلك مملوء بالأوهام فان الفلسفة مدينة لهم بالمحاولة الأولى في ذلك على كل حال ، فقد كان لهذه المدرسة أثرها في تاريخ الفكر الفلسفي حيث ظل التفسير الرياضي للكون سائدا حتى زمن أفلاطون والسبب في ذلك أن الرياضيات علوم يقينية مؤسسة على البديهات الفطرية في العقل.(٢)

---

(١) انظر: أرسطو – ما بعد الطبيعة م١ ص ٥٨٩.

(٢) انظر الأهوانى –المدارس الفلسفية ص٢٧ .

المطلب الثالث
مشكلة نشأة العالم عند المدرسة الإيلية

نشأة العالم عند بارميندس [١] :

يعد بارمنيدس من أبرز فلاسفة المدرسة الإيلية في رؤيتها لهذه المسألة فقد حاول أن يفسر الكون بعيدا عن التفسير المادي ، أعنى بعيدا عن الأحوال التي يقررها الحس مثل الحركة والنمو والفساد والتغير ، ولذا نادى بالواحد المطلق فحسب ، فقد أقام مذهبه في الوجود على أساس منطقي عقلي مترابط متسق ينتقل من قضية إلى أخرى مترتبة عليها بالضرورة ، فقد بدأ بالتفرقة بين الوجود واللاوجود واستدل من ذلك على أن الوجود موجود ، واللاوجود غير موجود ، وجعل تلك القضيتين مقدمة أساسية لبناء مذهبه ، فإذا سلمنا بأن الوجود موجود فلا مجال للحديث إذن عن صدور الوجود عن وجود آخر ، أي ليس فى تصور الوجود نشأة أو تولدا ، وإلا فمن أين ينشأ ، إن قلنا إنه نشأ من اللاوجود كان هذا مستحيلا؛ لأن اللاوجود غير موجود ، إذن فلابد من أن الوجود كان دائما

---

(١) لا تحدد المصادر الفلسفية سوى تاريخ واحد فقط وهو ٥٤٠ ق.م ، هل هو تاريخ ميلاده أو تاريخ وفاته ، لا تحدد المصادر أي شيء عن ذلك ويبدو أنه تاريخ ميلاده ، ولد فى إيليا على الشاطئ الغربي من إيطاليا لأسة عريقة الحسب والنسب ، ويعد أول من وضع كتابا في الفلسفة شعرا ، كما شارك في سياسة مدينته وأسهرم في جانب الحياة الاجتماعية بتشريعه قانونا لمدينته اتخذ فيما بعد نموذجا يهتدى به للحكم الصالح .

وهو مستمر دائما في الوجود [١] .

ومن ثم فالوجود عنده واحد لا ينقسم لأنه كل متجانس ، ولا يوجد هنا أو هناك أي شيء يمكن أن يمنعه من التماسك ، وليس الوجود في مكان أكثر أو أقل منه في مكان آخر، بل كل شيء مملوء بالوجود فهو في كل مكان متصل ؛ لأن الوجود متماسك بما هو موجود[٢].

كما ذهب بارمنيدس إلى أن الوجود أشبه بكرة ملاء [٣] لم يولد ولا يتغير ولا يتحرك ولا يتعدد ، ويقربه للأذهان بتشبيهات كثيرة فهو المطلق والتام لا شيء خارج عنه ، وهو محدود وليس وصفه بالحد نقصا بل كمالا ؛ لأن اللامحدود عند اليونان ناقص ، أما وصفه بأنه لا نهائي فيعنى أنه متصلب بعضه كالكرة ليس له نقطة بداية ولا نقطة نهاية .

كما يرى بارمنيدس أن طبيعة جميع الأشياء أو الموجودات المفكر فيها في العالم ذات ماهية واحدة .ولذلك كان الوجود الحقيقي والنهائي ذو موضوع واحد ، وهو وجود أزلي لم يخلق ، ولا يفنى ولا يتحول ، واحد لا ينقسم ، وهو جوهر كونى متجانس .

فضلا عن ذلك ، وطبقا لمذهب بارمنيدس ، فإن ما نراه من تعدد أو

---

(١)انظر: أرسطو: الطبيعة ج ١ص ١٧ وما بعدها ، وانظر: : د/ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢١ ، وانظر: د/ أميرة حلمي مطر – الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ص ٩٠ .

(٢)انظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ١٢٠ وما بعدها ، وانظر : د/ أميرة حلمي مطر – الفلسفة اليونانية ص ٩١

(٣) أي المكان الممتلئ .

كثرة في الأشياء ،هو في الحقيقة شيء واحد ، يطلق عليه اسم الوجود ، وإذا كان ثمة وجود فإنه يشغل فراغا ، لأن المكان الفارغ هو العدم الذي لا يمكن التفكير فيه وبالتالي فإن اللاوجود لا يمكن أن يكون موجودا .[١]

ونتساءل : هل كان بارمنيدس ماديا أم مثاليا ؟.

والجواب : ذهب الماديون إلى أن كل الصفات التي وصف بها برمنيدس موجوده هي الصفات التي تطلق على العالم كما نعرفه وكما هو فى الحقيقة ، فقد ذهب إلى أن الموجود كامل لا يفسد ولا يتحرك ولا ينقسم ....، وكل هذه الصفات بلا شك تخص الوجود المادي المحسوس خاصة وأنه ذهب – كما مر – إلى أن الوجود كرة ، والكرة من جملة الماديات والمحسوسات.

أما المثاليون فيرون أن برمنيدس لا يصف الموجود في عالم الحق بل في عالم الظن ، أما سائر الصفات فإنها سلبية ، لا يتحرك لا ينقسم ....، يضاف إلى ذلك أن برمنيدس قد جرد الوجود في الواقع من كل مظاهر الحياة ، فقد ذهب إلى إنكار التولد في الوجود لأن الوجود عنده حاضر فمن أين يأتي التولد.

ولذلك لا نغالى في القول إن ذهبنا إلى أنه حول الوجود إلى شيء يصعب حتى تخيله شيء جامد ثابت لا حركة له ولا تغير[٢] .

ويتبادر إلى الذهن سؤالا مؤداه : ألم يدرك برمنيدس بالفعل أن

---

(١) فرج : الفلسفة اليونانية القديمة أنواعها ومشكلاتها ص٦٩ .

(٢)انظر : د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة فى الفلسفة الإسلامية ص ٣٦ ، وانظر: د/أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ١٤٣

هناك حركة وتغيرا وفسادا في الوجود ؟

لا شك أنه كان يدرك أن هناك حركة في العالم وأن هناك تغيرا ، وكان يدرك كذلك فناء الموجودات وولادتها ، لكنه أراد أن يثبت أن هذه الأمور عرضية وليست جوهرية ، بحيث يمكن القول إنه أراد أن يؤكد أن جوهر الوجود يكمن في ثباته لا في حركته ، وفى وجوده لا في فنائه ، وفى اتصاله لا في انفصاله ، لقد كان همه الأكبر هو اكتشاف الوسائل التي توصل إلى الحقيقة الكامنة وراء مظاهر الأشياء لا هذه المظاهر عينها ، لكنه أخطأ في هذا السبيل من حيث أنه لم يعتمد على التجربة بل كان اعتماده على المنطق الصرف (١) .

ومن ثم يتبين أن بارمنيدس قد نظر إلى الطبيعة (الوجود) نظرة تختلف عن كل الاتجاهات السابقة ، إذ أنه قد حافظ على وحدة الوجود في كل أشكاله ومظاهره : في وجوده الدائم الذى لا بداية له ولا نهاية ، وفى وجوده الفريد الذى لا يتماثل أو يتحول ، وفى وجوده الثابت الذى لا يتغير، وهنا نجد أن قوى الطبيعة كامنة في الطبيعة ذاتها ، إذ الوجود "الطبيعة" واحد يشمل كل شيء ، فالوجود متحرك وثابت ، فيه كثرة لكنها واحدة ، وفيه وحدة لكنها متكثرة .

إن الوجود والواحد متكافئان ، ويلزم عن هذا أن الوجود واحد فقط متجانس مملوء كله وجودا ، فإذا لم يكن واحدا فمعناه أنه متعدد ، ومعنى

---

(١) انظر : سارتون – تاريخ العلم ج٢ ص ٤٧ ، وراجع : د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ص ١٤٣

التعدد وجود شيء آخر غير الوجود يكون به التعدد ، ولما كان ليس هناك غير الوجود فلا يوجد تعدد [١] .

مما سبق نستطيع أن نقرر أن بارمنيدس استبدل بفكرة الطبيعة فكرة الوجود ، ومن أجل هذا تحدثنا عن الوجود عنده بحسب أنه الطبيعة ، وتحدثنا عن الطبيعة بحسب أنها الوجود ، وهو في هذا الصدد لم يكن طبيعيا مخلصا حيث وجدناه قد استبعد ظواهر الحياة من فكرة الوجود فألغى نشأة الكون أو ميلاده وألغى نموه وحركته وألغى تعدده ، ولم يبق للوجود من الصفات سوى الصفات المنتمية لمقولة الكم ، فقصر فكرة الوجود على مقولة الكم فحسب وهى واحدة من عشر مقولات أوضحها أرسطو [٢] .

كما لا يفوتنا أن نقول أن برمنيدس هو فيلسوف الوجود المحض ، تجاوز عالم الظواهر وعالم الأعداد والأشكال ، وبلغ إلى الموضوع الأول للعقل وهو الوجود، فلم يعد يرى غير امر واحد هو" الوجود موجود ، واللاوجود ليس موجودا .

---

(١) انظر : د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ص ٣٦

(٢) انظر : د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية ص ٣٦

المطلب الرابع

مشكلة نشأة العالم لدى الفلاسفة الطبيعيين المتأخرين

تمهيد :

بداية نقول: إن تيار الفلسفة الطبيعية لم ينقطع بعد الثورة التي أثارتها الفلسفة الإيلية على مناهجها ومشكلاتها، وإنما استمر هذا التيار قويا في المدن المزدهرة طوال القرن الخامس ق.م، غير أن الفلسفة الإيلية جاءت بمبدأ كان له أثره الواضح في المذاهب الطبيعية التالية عليها ، ويتلخص هذا المبدأ في قولها باستحالة التغير الكيفي للمبدأ الأول أو المادة الأولية التي صدرت عنه االموجودات، ومن ثم فقد رجع فلاسفة القرن الخامس قبل الميلاد عن تفسير نشأة الموجودات الطبيعية تحول المادة الأولية تحولا كيفيا على نحو ما كان يعتقد فلاسفة إيليا وافترضوا وجود عدد من المبادئ الأولية نشأ من انضمامها وانفصالها جميع الظواهر المحسوسة في الطبيعة .

وفى هذه المذاهب المتأخرة نسبيا بدأت العناية بالبحث في القوى المحركة للمادة تتضح على نحو ما نجد عند أنبادوقليس وانكساغوراس اللذان عنيا بالعلة الفاعلة بالإضافة إلى عنايتهما بالعلة المادية ، ولم تكن هذه المذاهب على أية حال أقل عناية من مذاهب أسلافهم الإيليين بالبحث فى ظواهر الطبيعة المختلفة ، ولذا يعدون بحق آخر حلقات الفلسفة الطبيعية التي ازدهرت في بلاد اليونان قبل سقراط[1] .

---

(١) انظر: د/ أميرة حلمي مطر – الفلسفة اليونانية ص ٩٦

وفيما يلى الحديث عن موقف فلاسفة تلك المدرسة من هذه المسألة:-

أولا : أنبادوقليس[1].

يعتبر أنبادوقليس من أوائل فلاسفة اليونان الذين ذهبوا إلى القول بالعناصر الأربعة (الماء – الهواء – التراب – النار) ، فقد جعل للتراب دورا فى نشأة الكون ، كما أن نظريته عن العناصر أو الجذور الأربعة ظلت سائدة حتى بداية القرن الثامن عشر ، يضاف إلى ذلك أنه يعد المؤسس الحقيقي لعلم الكيمياء الحديثة وذلك بفضل ما قدمته فلسفته الطبيعية لهذا العلم من مبادئ ، ويتميز تفكيره بالشمول أكثر منه بالعمق ، وفيما يلى الحديث بإيجاز عن موقفه من مسألة خلق العالم :-

ذهب أنبادوقليس إلى أن الماء والهواء والتراب والنار هي الأصول الأولى للأشياء والموجودات جميعا ، فكأنه رجع إلى عناصر المدرسة

---

(١) ولد انبادوقليس حوالى عام ٤٩٠ ق.م ، وكان ينتمى لأسرة عريقة شهدت ثراء وازدهارا وقت ولادته ، تتلمذ على يد بارمنيدس واكسانوفان وأخذ عن الفيثاغوريين ، كما يقال إنه ادعى النبوة بل ادعى الألوهية واحتمى بسلطانها وذعن الناس لأقاويله زمنا طويلا مما أدى بالبعض إلى تسميته بالنبي أو المنقذ ، واشتهر بالخطابة ونظم فلسفته شعرا في كتابين : أحدهما في الطبيعة، والآخر في التطهير ، توفى عام ٤٣٠ ق.م . انظر: إميل بريهة – تاريخ الفلسفة ج١(الفلسفة اليونانية) – ترجمة جورج طرابيشي ص ٨٨ وما بعدها، بيروت ١٩٨١م. ، وانظر: د/ جعفر آل ياسين – فلاسفة يونانيون ص ٧٧ وما بعدها .

الأيونية (الماء والهواء والنار) وأضاف إليه عنصرا رابعا هو التراب .

وهذه العناصر الأربعة مادية ومتساوية لم ينشأ أو يتحول أحدها عن الآخر ، وسماها : الجذور الأربع واعتبرها آلهة [١] ، لكنه رفض أن تكون قابلة لحدوث التحول فيما بينها ، أو التغير من كون إلى فساد أو العكس ، فالتراب لا يصبح هواء ، والنار لا تصير ماء على الإطلاق ، وهو برفضه للتغير والصيرورة يخضع للإيليين الذين نقدوا الطبيعيين الأولين لقولهم به [٢] .

ويتبادر إلى الذهن سؤالا مؤداه : كيف جاء الكون عن هذه العناصر رغم عدم اعترافه بالتحول ؟

والجواب يتمثل في أن ائتلاف هذه العناصر وانفصالها بمقادير شتى هما مصدر كل ما في الوجود ، وأن التغير لم يكن باستحالة في الكيفية وإنما باجتماع في الكمية.

ومن هنا يمكن القول بأن أنبادوقليس قد جمع بين رأى الطبيعيين الأولين الذين قالوا بالتغير وتحول مادة النشأة الأولى إلى أشياء كثيرة وبين الإيليين الذين عارضوا هذا وقالوا بالثبات والوحدة ، فتابع الطبيعيين الأولين في رد نشأة الكون إلى المادة ، غير أنه تجاوبا مع انتقادات الإيليين للطبيعيين الأولين لم يقل مثلهم بتغير مادة النشأة في الكيف إلى مواد أخرى

---

(١)هنا يظهر واضحا أثر الميثولوجية (الأساطير) في تصور أنبادوقليس في نظرته للعناصر الأربعة المادية على أنها آلهة كما زعم.

(٢)انظر: إميل بريهة – تاريخ الفلسفة ج١ ص ٨٨ ، وانظر: د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة فى الفلسفة اليونانية ص ٥٢ .

مكتفيا بالقول بالتغير في الكم فقط ، فالعناصر الأربعة عنده – كما سبق القول – ثابتة في أصلها لا يتحول بعضها إلى بعض ولا إلى أشياء أخرى ، وتكون الموجودات عنها إنما يحدث بانضمامها أو انفصالها عن بعضها بمقادير ونسب معينة ، فالتغير ليس كيفا كما عند الطبيعيين الأولين وإنما هو تغير كمي فقط (١) .

أما عن تفسير الحركة فإنه يرى أنبادوقليس أن امتزاج العناصر وانفصالها يعزى إلى قوتين كبيرتين هما المحبة التي تجمع ، والكراهية التي تفرق ولذا يقول:

"المحبة والكراهية كما كانا موجودين من قبل فإنهما سوف يوجدان ، ولن يخلو منهما الزمان " (٢) .

وهما يتخللان جميع الأشياء ويحركها ، الأمر الذي أفضى إلى القول بأن أنبادوقليس قد كان أول من قال بفكرة نفس كونية هي علة حركة الكون، على أن هاتين القوتين تشتركان مع العناصر الأربعة الأخرى في جميع الصفات فهي في مستوى الألوهية والخلود والقيمة ، كما أن المبادئ الإلهية عنده ست :

أربعة جذرية واثنتان قوى ، وتتغلب إحدى القوتين على الأخرى فتسود العالم في دورات مستمرة هي التي يسميها بالكروي ، وتكون أشبه

---

(١) انظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ١٢٠ ، وانظر: إميل بريهة – تاريخ الفلسفة ج١ ص ٨٨ ، وراجع : د/ رضا الدقيقي – دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٥٩ وما بعدها.

(٢) أنبادوقليس – قصيدة في الطبيعة – شذرة ٤٠

شيء بالواحد البارمنيدى ، أما الكراهية فتبتعد وتنكمش في أطراف هذا الكروي وهو يمثل عنده الصورة الكاملة للألوهية ، ولكن تقتضى سنة الكون وحكم الزمان والضرورة التي يرمز لها جميعا أنبادوقليس بفكرة القسم العظيم أن تتدخل الكراهية لتطلب حقوقها فتقضى على سعادة الكروي وتماسكه ويصدى لها الحب فتنشأ هذا العالم، وعندما تتغلب الكراهية تماما تنفصل العناصر عن بعضها تماما ولا توجد موجودات هذا العالم ، ولكن تعود الدورة مرة أخرى فيتغلغل الحب ليعود للكروي مرة أخرى وتندمج فيه جميع الأشياء ، وكذلك تتوالى على الكون أدوار أربعة تسود في اثنين منها الحب والكراهية أما الدورين المتوسطين فتوجد فيهما الكائنات التي توجد وتفنى [١] .

وقدم انبادوقليس تفسيرا لتكوين هذا العالم بواسطة فعل الكراهية ، وكان أول العناصر انفصالا هو الهواء الذي أحاط بنصف سطح الكرة الأرضية ، ثم انفصلت النار وملأت النصف الآخر من النصف من سطح الأرض .

غير أن تكتل النار في قبة السماء أحدث اختلالا في التوازن تبعته حركة هي سبب تعاقب الليل والنهار وفي الوقت نفسه هي علة لثبات

---

(١) انظر: إميل بريهة – تاريخ الفلسفة ج١ ص ٨٨ ، وانظر: د/ فيصل بدير عون – فكرة الطبيعة في الفلسفة اليونانية ص ٥٢ ،انظر مطر – الفلسفة عند اليونان ص٧٤.

الأرض في مكانه.[١]

أما عن نشأة العالم:-

فقد ذهب أنبادوقليس – كما مر – إلى أن العالم توجد فيه دورات وكل دورة من هذه الدورات منقسمة إلى أربعة أقسام ، ففي القسم الأول تكون السيادة المطلقة لمبدأ المحبة ، والقسم الثاني يمثل انتقال من سيادة مبدأ المحبة إلى سيادة مبدأ الكراهية ، ويأتي بعد ذلك القسم الثالث وفيه تكون السيادة المطلقة لمبدأ الكراهية ، ويلى ذلك القسم الرابع وفيه يكون الانتقال من سيادة مبدأ الكراهية إلى سيادة مبدأ المحبة مرة أخرى من جديد، وتتوالى الأقسام على هذا النحو باستمرار وكذا تتوالى الدورات .

والوجود الحق فيما يرى أنبادوقليس لا يوجد في جميع الدورات ، بل يوجد في الدورين الثاني والرابع فقط ، وهما دورا الانتقال أولا من المحبة إلى الكراهية ، وثانيا من الكراهية إلى المحبة من جديد ، أما المحبة المطلقة والكراهية فليس فيهما وجود بالمعنى الحقيقي [٢] .

ولكن كيف يتم اعادة تنظيم الأربعة للوجود ؟

إن العناصر الأربعة لا تقبل التغير ، ومن ثم لا يمكنها أن تتحرك من تلقاء نفسها في أشكال منتظمة متعددة تتحد في داخلها الأجزاء والوقائع الموجودة في العالم لذلك ينبغي أن نسلم بوجود قوة محركة تكون هي سبب

---

(١) انظر : مطر – الفلسفة عند اليونان ص ٧٤ .

(٢) انظر: فلوطرخس – الآراء الطبيعية ص ١٢١ ، وانظر: إميل بريهة – تاريخ الفلسفة ج١ ص ٨٩ .

حركتها، تتمثل في القوة والمادة فهما حقيقتان كونيتان بارزتان ، ينبغي أن ترتبط الواحدة منهما بالأخرى ارتباطا شديدا .

ولقد رأى أنبادوقليس أن القوة تحمل طابعا ثنائيا في الوجود يجعلها قادرة على البناء والخلق بقدر ما يجعلها قادرة على الهدم والفناء ،وقد أطلق انبادوقليس على هاتين القوتين اسم الحب والكراهية.

والحب هو القانون العام المسؤول عن الوحدة والنظام في العالم، ويرجع ذلك إلى الخير الكامن فيه ، بينما الكراهية " وهي القوة المدمرة في الطبيعة "هي علة الفوضى والاضطراب والانفصال والفساد ، وتدمير الأشياء.

وجد أنبادوقليس أن الحب الأسمى الذى توجد فيه كل قوة هو الله الذى يضع انسجاما كاملا بين العناصر تؤدي إلى خلق كون منظم .

وعدما تكون قوى الكراهية هي القوى الفائقة المسيطرة تنفعل بالضرورة جميع العناصر ويتم تمايزها .

يسود الصراع اذن في الوجود بين قوتي الحب والكراهية ، وكلما تغلبت احداهما حدث مزيج من الكون والفساد ، النظام والتدمير ، فإما أن يسود النظام أو الفوضى .[١]

وخلاصة القول : إن مذهب أنبادوقليس يعد مزاجا من المذاهب

---

(١) فرج – الفلسفة اليونانية القديمة أنواعها ومشكلاتها ص ١٠٦ وما بعدها .

السابقة ومحاولة للملاءمة بينها ، فقد عنى بالعلم الطبيعي على طريقة الأيونيين ، ولم يؤثر مادة على أخرى بل جمع بين المواد الأربع ، إلا أنه خطا إلى الأمام بفصله العلة عن المادة ولو في التصور ، ووضعها مستقلة باسم المحبة أو الكراهية ، وتابع بارمنيدس في القول بالكرة الأصلية وفي إنكار بعض التغير وهو التغير الكيفي ، فتصور حقائق الأشياء أصولا ثابتة الماهية ، وتصور التغير تنقل هذه الأصول.

ثانيا : انكساغوراس [١] :

يعد انكساغوراس أول من فتح باب الفلسفة الروحية ، لكنه لم يفطن لخصوبة هذه الفكرة ولم يوفق لاستغلالها ، ولكنها فكرة جليلة كافية لأن تجعل له مكانا خاصا في هذا الدور من الفلسفة ، ولقد كان فصله بين المادة والعقل سببا لإطلاق البعض عليه أبا الثنائية الفلسفية – برغم اعتبار جورج سارتون [٢] ذلك غلوا – لأن لا مادية العقل كانت بارزة في كلامه – كما سيأتي – على عكس ما يعتقد سارتون ، وفيما يلى بيان رأيه في مسألة خلق العالم بإيجاز :

---

(١) ولد انكساغوراس في مدينة كلازومينى حوالى عام ٥٠٠ ق . م على الساحل الغربي من آسيا الصغرى ، ثم وفد على ملطية حيث تتلمذ على يد أنكسمنس ، ومنها انتقل إلى أثينا عام ٤٨٠ ق.م ، وهو في سن العشرين ، وفى حوالى عام ٤٥٠ ق.م وجهت إليه تهمتا الكفر والتعاطف مع الفرس فرحل عن أثينا ، وحكم عليه بالإعدام لكنه هرب ، ومات في الثالثة والسبعين من عمره حوالى عام ٤٢٨ ق.م . انظر: وول ديوانت – قصة الحضارة ج٢ ص ١٧٩، وانظر : الشهرستاني – الملل والنحل ج٢ ص ٢٣١

(٢) جورج سارتون – تاريخ العلم ح٢ ص ٤٢ .

ذهب انكساغوراس إلى موافقة الإيليين في إنكار التغير والصيرورة، فلا تحول من اللاوجود إلى الوجود ولا من عنصر إلى آخر ، كما وافق الطبيعيين الأولين وأنبادوقليس وأصحاب مذهب الذرة فى أن مادة العالم قديمة وأنه لا خلق من عدم ، غير أنه خالفهم فى أمرين :-

أ - تفسيرهم نشأة الكون بمادة واحدة أو مواد أربعة ؛ لأنه يفضى إلى القول بالصيرورة الذى رفضه ، كما أنه لا يفسر الكيفيات اللامتناهية في الأشياء.

ب - إرجاعهم التصميم والنظام الملاحظين في الكون إلى المادة .

وكان رفضه لهذا بناء على سؤال : كيف يمكن للتصميم والنظام والتناغم والجمال أن تحدث من جرأة قوة عمياء تؤثر في المادة السديمية ؟ فالقوة العمياء التي تعمل على أساس من الفوضى إنما تفضي إلى الحركة والتغير لكن التغير سيكون بلا معنى وبلا غرض [١] .

وتجدر الإشارة إلى أن انكساغوراس سيرى أن المادة التي صنع منها الكون هي مادة خليطية تحتوى على بذور[٢] جميع الكيفيات الممكنة ،

---

(١) انظر: جورج سارتون - تاريخ العلم ح٢ ص ٤٢ ، وانظر: د/ ماجد فخرى - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٦ ، وراجع : د/ رضا الدقيقي - دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٧٩ .

(٢) هذه المادة تسمى عند انكساغوراس بذور ، وهذه البذور ليست من نوع العناصر ؛ لأن كلا منها مركب تركيب الكل ، ولا من نوع الذرات أو الجواهر الفردية لأنه لا نهاية لتقسيم المادة عنده ولا حصر لعددها . انظر : د/ أحمد فؤاد الأهواني - فجر الفلسفة اليونانية ص ١٥٥

وعلى جميع الصفات التي يمكن أن يوجد عليها الكون ، ولعل القول بمادة واحدة مختلطة تحتوى على بذور كل العالم هو ما حدا بالشهرستاني [١] إلى أن يصفه بأنه أول من قال بالكمون والظهور حيث قدر الأشياء كامنة في الجسم الأول وإنما الوجود ظهورها من هذا الجسم .

وهنا نسأل : ما الذى أحدث الحركة في هذه المادة ؟

والجواب : لقد أسند أنكساغوراس حركة المادة للعقل لا لذات المادة؛ لأن النظام والتناسق في الكون لا يمكن ردهما إلى أساس مادى ، إذ يستحيل أن تكون القوة العمياء هي المحركة للكون [٢] .

فالعقل عنده هو الذي يدرك جميع الأشياء التي امتزجت وانفصلت وانقسمت ، والعقل هو الذي بث النظام في جميع الأشياء التى كانت والتى توجد الآن والتي سوف تكون ، وكذلك هي الحركة التي تدور بمقتضاها الشمس والقمر والنجوم والهواء والأثير المنفصلين عنه .[٣]

---

(١) الشهرستاني: هو(محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح الشهرستاني ، ولد بشهرستان عام ٤٧٩هـ، وتوفى عام ٥٤٨هـ ، من أهم مؤلفاته : الملل والنحل ، ونهاية الأقدام في علم الكلام) . انظر: الذهبي – سير أعلام النبلاء ج٢٠ ص ١٩٤.

(٢) انظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٦٠، وراجع : د/ رضا الدقيقي – دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٧٩ وما بعدها .

(٣) مطر – اميرة حلمي ص٧٩.

صفات العقل ووظيفته:

للعقل خصائص متعددة لدى انكساغوراس من أبرزها ما يلى:-

١ - أنه أساس الحركة ، ولما كان كذلك فهو غير متحرك ؛ لأنه لو كانت فيه حركة لوجب البحث عنها فى شيء آخر خارجه.

٢ - أنه نفى تماما وغير مختلط بأى شيء آخر ، إذ يعيش بمعزل وبذاته في ذاته ولذاته، وهو عكس المادة غير مركب كما أنه بسيط وقادر وعالم وغير متحرك [١] .

ويصف انكساغوراس العقل بأنه أثار الحركة في المزيج وميز بين الأشياء ولكنه انفصل بعد ذلك عن جميع الأشياء التي تحركت . لأنه غير ممتزج بغيره ومكتف بذاته.[٢]

فالعقل عنده هو جوهر غائي بمعنى أن كل شيء في الطبيعة يسير نحو غاية محددة .ويرجع جمال العالم ونظامه واستجابته للفهم العلمي ،والغاية التي وجد من أجلها ،ووظيفته التي يقوم بها ،والإنسجام السائد فيه ،كذلك يرجع إلى "النوس" [٣] بوصفه العقل المسؤول عن نظام الموجودات وترتيبها وفقا للأهداف والغايات التي وجد من أجلها ،ووفقا للأهمية الخاصة بها.

---

(١) انظر: وولتر ستيس – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩١ وما بعدها .

(٢) مطر – اميرة حلمي ص٧٩.

(٣) النوس : هو العقل عند انكساغوراس .

فالعلم اذن موجود لغاية ما ويقوم "النوس" بتحديد اتجاه قوى الطبيعة ،وسيرها تبعا لهذه الغاية .

أما عن طبيعة العقل لدى انكساغوراس فهي موضع خلاف بين العلماء ، فمنهم من يرى أن العقل مادي ، ومنهم من يرى أنه غير مادي ، وفيما يلى بيان ذلك :

الرأي الأول :

يرى أنصاره أن العقل مادى ومن هؤلاء : –

" بيرنت " حيث ذهب إلى أن انكساغوراس كان يتصور العقل على أنه قوة مادية أو فيزيقية ، واستدل بوصف انكساغوراس له بأنه أدق الأشياء وأنقاها ، وبحديثه عن نسبة الأصغر والأكبر إليه وهما علاقتان مكانيتان ، ومن ثم فإن العقل يشغل حيزا وما يشغل حيزا فهو مادى [١] .

الرأي الثاني :

يرى أنصاره أن العقل ذو طبيعة روحية حية ، ومن هؤلاء:–

" ستيس "، والأهواني وغيرهم [٢] .

الرأي الراجح :

إن ما ذهب إليه أنصار الرأي الثاني هو الرأي الراجح ؛ لأن ما

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ، بيرنت فقرة ٧٩ Burnet , op.cit.,p.79

(٢) انظر: وولترستيس – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٢ وما بعدها ، و انظر : د/ أحمد فؤاد الأهواني– فجر الفلسفة اليونانية ص ١٦٥ .

ذكره أنصار الرأي الأول مرفوض ، إذ أن معظم الألفاظ المستخدمة فى الوصف عموما لها دلالات حسية ؛ لأن بدايات إطلاقها ارتبطت بالحس ، ولا يمنع هذا من إطلاقها على المجردات فيما بعد ، أما عن نسبة انكساغوراس صفتي الأصغر والأكبر إلى العقل فى معرض المقارنة فليس صحيحا أن الأكبر والأصغر هما بالضرورة علاقتان مكانيتان ، فهما أيضا علاقتان كيفيتان فى الدرجة ، وإنه عند انكساغوراس عقل واحد منبث فى كل الكائنات الحية الإنسان والحيوان بل وحتى النبات ، وهذه المراتب المختلفة للموجودات ينبث فيها العقل نفسه ولكن بدرجات مختلفة حيث ان النسبة أكبر عند الإنسان ، ولكن هذا لا يعني أن العقل في الإنسان يشغل مساحة أكبر من المساحة التي يشغلها في النبات ، وحتى لو تصور انكساغوراس العقل على أنه يشغل حيزا بالفعل فإنه لا يترتب على هذا أن يعتبره ماديا ، ومن ثم فمن الصواب القول أن عقل انكساغوراس هو مبدأ غير مادي [١] .

مما سبق نستطيع أن نقرر: أن انكساغوراس استبدل بالهواء عند انكسيمانس – على سبيل المثال – الخليط اللامتناهي، فقد جمع فيه كل العالم حيث أن هذا الخليط لا يقف عند حد ، كذلك ذهب إلى شكل العالم كروي الأمر الذى ذهب إليه انكسيمانس ، أيضا فإن انكساغوراس احتفظ بثبات الجوهر المادي وهو الأمر الذى نادت به المدرسة الإيلية ، كما أنه

---

(١) انظر: وولتر ستيس – تاريخا لفلسفة اليونانية ص ٩١ وما بعدها ، وانظر: د/ ماجد فخرى – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٠ وما بعدها .

من جهة أخرى أقر بالتغير والحركة وكان في ذلك متأثرا بهيراقليطس وبالمدرسة الأيونية ، إلا أن أهم ما يميزه عن غيره هو أنه قد أدرك – لأول مرة – العلاقة بين العلة المادية والعلة المفارقة لها ، كما أدرك أهمية العقل وتحكمه في الوجود .

كما يرجع الفضل أيضا إلى النوس أو العقل في إرساء قوانين العلية في الطبيعة للقيام بتحريك الأشياء نحو أهدافها ،وهي التي تتحكم في غائية الطبيعة ومن ثم في حركة نظام الكون ،لذلك نجد أن النوس "العقل " عند انكساغوراس هو جوهر فريد ،لا يفنى ويختلف عن جميع الجواهر الأخرى.

ثالثا : ديمقريطس [1] :

بادئ ذي بدء نقول : لقد اتسمت آراء ديمقريطس الفلسفية بالعمق، فقد بدا متأثرا عند حديثه عن نشأة الكون بالطبيعيين الأولين فى قولهم بقدم المادة واكتفائها فى حركتها بذاتها ، كما تأثر أيضا بالإيليين فى القول بأنه لا يخرج وجود من اللاوجود، بل إن آراء الفيثاغوريين واضحة عنده في إحالته الاختلافات الكيفية بين الموجودات إلى الاختلافات الكمية ، وفيما يلى بيان فلسفته فى مسألة نشأة العالم:-

---

(١) ولد فى أبديرا من أعمال تراقيا عام ٤٧٠ ق . م ، –وهى مدينة قديمة واقعة فى الطرف الشمالي من بحر إيجه – سافر إلى بابل والهند وأقام في مصر خمسة أعوام كاملة ، وكانت أثينا آخر رحلاته وتنقلاته ، توفى عام ٦٣١ ق.م . انظر: جورج طرابيشي – معجم الفلاسفة ص ٢٧٩ ، دار الطليعة – بيروت.

أ – صفات الذرات لديه :

يرى ديمقريطس أن الكون نشأ عن ذرات مادية وصفها بأنها قديمة لا نشأة لها وغير متناهية في العدد ، ويصعب إدراكها بالحواس وجميعها من أصل مادى واحد ، ولا توصف إلا بصفتي الحجم والشكل ، وهى متفقة في جميع صفاتها ، والفرق بين ذرة وأخرى إنما هو في الكم فقط ، والصفات التي تحدث للأشياء المكونة منها إنما تحدث عن طريق ترتيب الذرات ووضعها فقط وليس لأنها صفات أساسية وجوهرية في الذرات [١] .

والسؤال هنا : هل للذرات وزن ؟

لم يصف ديمقريطس الذرات بالثقل ، ومن أجل هذا وجه إليه أرسطو نقدا لازعا إذ يرى أنه " إذا كان الحار والبارد من الصفات التي تضاف إلى ما لا يتجزأ "الذرات " فمن التناقض كذلك ألا يكون لها صفات الثقل والخفة والصلابة والليونة " [٢] .

ولكن البعض يرى أن وصفه للذرات بأنها تختلف فى الحجم فبعضها أكبر وبعضها أصغر يتضمن بالضرورة وصفها بالثقل إذ معنى أن تكون الذرة الكبيرة أكبر من الصغيرة أنها أثقل منها [٣] .

ويرى بعض الباحثين أن القول بالثقل متضمنا في القول باختلاف الحجم إذ قد يختلف الحجم ويظل الوزن ثابتا [٤] .

---

(١) انظر: أرسطو – ما بعد الطبيعة – مقالة الميم ص ٩٨٥.

(٢) انظر: أرسطو – الكون والفساد ص ٣٢٦

(٣) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٢٢١

(٤) د/ رضا الدقيقي – دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٦٩

ب – حركة الذرات لديه :

ذهب ديمقريطس إلى افتراض وجود الخلاء ، إذ لا شيء يمكن أن يتحرك إلا لو كان له مكان يتحرك فيه ، فإن السهم الذى يخترق الهواء يصطدم فى وقت آخر بالصخر ، ويفسر هذا بوجود الخلاء بين ذرات الهواء وتماسك ذرات الصخر ، كما أن الوعاء المليء بالرماد يمكنه أن يسع مثله ماء ، ولا يفسر ذلك إلا بوجود الخلاء بين ذرات الرماد [١] .

ومن ثم يتبين أن ديمقريطس يعد في هذا صاحب سبق علمي ؛ حيث بات مقررا في علم الطبيعة أنه يوجد بين جزئيات المواد : الصلبة والسائلة والغازية ما يسمى بالمسافات الجزئية ينم بها تفسير الذوبان والتفاعل ، غير أنها تختلف من مادة إلى أخرى حسب حالتها ، وإن كان ديمقريطس قصرها – كما يبدو – على غير المواد الصلبة .

نشأة العالم عن طريق هذه الذرات لديه :

يرى ديمقريطس أن الذرات كانت في البدء متحركة في الخلاء حركة أفقية ، فاصطدمت الذرات بعضها ببعض فتكونت حركة دائرية أو على شكل دوامة هي التي حدث عنها الكون بأن اقتربت الذرات المتشابهة في الحجم والشكل ثم تشابكت بفعل قانون الشبيه يجذب الشبيه ، وتكاثفت الذرات في المراكز فتكون جسم مبسوط هو الأرض في حين أن الذرات

---

(١) – انظر: إميل بريهة – تاريخ الفلسفة ج١ ص ١٠٢، وانظر: د/ على سامى النشار – ديمقريطس في العالم الإسلامي (ضمن ديمقريطس فيلسوف الذرة) ص ٤١٩.

الأصغر التي اندفعت إلى الخارج قد كونت طبقة كروية رقيقة من الذرات المستديرة أصبحت كغشاء يغطى الدوامة بأكملها فتكونت السماء [١] .

تقول د أميرة مطر : " لقد قدم ديمقريطس نظريات في تفسير الكون ووصف الأرض بأنها تشبه جسما اسطوانيا يحيطه غشاء أرق يكون السماء، وقال بعدد لا نهائي من العوالم الأخرى تسكنها أحياء مختلفة الأشكال ،لأن ذرات النفس أدق أنواع الذرات ،وتشبه النار وتسري في جميع الموجودات ، ولكنه لم يقل بوجود عناية الهية بل كل شيء يسير بحتمية القانون الطبيعي .[٢]

وخلاصة القول فإن ديمقريطس يعد أول من طرأت بذهنه الفكرة القائلة إن الطبيعة تتألف من ذرات ، ومن هنا فإنه يحتل مكانة مهمة في تاريخ العلم فضلا عن تاريخ الفلسفة.

---

(١) انظر : هانزر يشنباخ – نشأة الفلسفة العلمية – ترجمة د/ فؤاد زكريا ص ٧٧ ، دار الكتاب العربي ١٩٦٨م. وولتر ستيس – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٨٣ ، وانظر: د/ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩ وما بعدها ، وانظر: د/ رضا الدقيقي– دراسات في الفلسفة اليونانية ص ٦٩

(٢) مطر – د أميرة حلمي – ص ٨٣ .

المبحث الثاني
مشكلة النفس الإنسانية لدى فلاسفة المدارس اليونانية القديمة

تمهيد:

لقد شغلت مسألة النفس تفكير الإنسان منذ عصورها الأولى ، وما برحت تحتل مكانة الصدارة في البحوث الفلسفية العلمية في عصرنا الحاضر ، وكان فلاسفة اليونان هم أكثر الناس اهتماما بهذه المشكلة بشكل فلسفي ؛ لأنهم اتجهوا أول الأمر إلى محاولة فهم الكون ، فلما رأوا عجزهم عن إدراك أسراره جنحوا إلى دراسة النفس لعلهم يجدون في معرفتها سبيلا إلى معرفة ما عداها ، فقد جزموا أنه لن يتاح للمرء أن يحيط بشيء علما إلا إذا بدأ بمعرفة أقرب الأشياء إليه وهو نفسه ، فإن أسوأ أدواء الإنسان الغرور الذى قد يدعوه إلى اعتقاد أنه يعلم كل شيء مع أنه لم يؤت من العلم شيئا مذكورا.

وفيما يلى بيان موقف فلاسفة المدارس اليونانية القديمة من هذه المسألة :

أولا : النفس عند هيراقليطس :

لقد فسر هيراقليطس النفس تفسيرا ماديا صارما ، فعنده أنها تتكون من النار ، أي أنها تعد جزءا من النار الإلهية ، وكلما كانت أكثر جفافا كانت أقرب إلى الكمال ، ذلك أن النفس الأكثر جفافا أحكم النفوس وأفضلها،

وعندما تترك الجسم فإنها لا تفنى بل تعود من حيث أتت إلى عالم النار[١] .

فالنفس البشرية عنده متصلة بالنار الإلهية العاقلة ،يصف نشأتها بالتصاعد أو بالطريق إلى أعلى حين تتحول الرطوبة إلى بخار ثم إلى نار ، فهي عرضة للتحولات حسب طبيعتها فإما نحو الجفاف والنار ، وإما نحو الرطوبة والماء ،وفي الحالة الأولى يزداد نصيبها من العقل والصلاح ،وفي الحالة الثانية يدركها الفساد .

كما أن النفس الجافة صالحة وأكثر اتصالا "باللوغوس" العقل، أما الرطبة فاسدة لذلك يقول إن النفس تفسد من كثرة الشراب ومن اللذات وحين تنقطع صلتها عن "اللوغوس" العقل وعن الحقيقة وحين تنعزل ايضا في عالمها الخاص.[٢]

وتجدر الإشارة إلى أن النفس ليست تشارك سائر الموجودات في حركتها الدائبة فى الروح أو النفس الساكنة تماما كالشراب الممزوج ينفصل إذا لم يحرك ، كذلك النفس الساكنة لابد أن تنحل ولها طريقان في الحركة إحداهما صاعد والآخر هابط ، فالأشياء تتغير – الإنساني منها والإلهي – صاعد هابط بالتنازل ، فالنار تصبح ماء ثم الماء يصبح ترابا [٣]

---

(١) انظر: هيراقليطس – الطبيعة – فقرة ٧٢ ، وانظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٣٩

(٢) مطر – دأميرة حلمي ص٤٥ وما بعدها .

(٣) انظر: أحمد أمين ، ود / عبد الرحمن بدوى– قصة الفلسفة اليونانية ص ٥٣ وما بعدها

مصير النفس عنده :

إن موت الأرواح عند هيراقليطس هو أن تصبح نارا أو ماءا غير أن الحياة والموت سواء من حيث إن تغلبت الرطوبة على الجسم وغاصت الأرواح إلى الماء ثم إلى التراب خرج من التراب ماء، وتتولد من الماء روح جديدة ففي موت انسان ميلاد انسان جديد وهكذا يتبادل الأحياء والأموات مراكزهم ،وهذا يصدق على الأرواح التي كان الموت نتيجة غلبة النار ويقدر هيراقليطس الدورة التي تحفظ التوازن بين الحياة والموت بثلاثين عاما أصغر فترة لكي يصبح الانسان جدا . (١)

ولما كان الإنسان في فلسفة هيراقليطس بمثابة جرم مركب من نار وماء وتراب ، والنار حياة الإنسان إذ حين تغادر الجسد فإن التراب والماء لا يساويان شيئا ، والنفس حياة الإنسان لن تستطيع أن تكشف عن طبيعتها – أى جوهرها وكنهها – أي الطرق سلكت لها وفى ذلك عمق مغزاها ،لذا فإنه يرى أن الروح ليست خالدة ، فطالما أنه ذهب إلى أن النفس نارية أي مادية – كما مر– وأن العالم الذى نعيشه هو عالم التغير المستمر والصيرورة فإنه ينكر خلود الأرواح .(٢)

---

(١) فرج – الفلسفة اليونانية القديم ص٥٨ .

(٢) هيراقليطس – فقرة ٧٣ .

ثانيا : النفس عند الفيثاغوريين .

هذا وقد ذهب الفيثاغوريون إلى أن النفس الإنسانية عبارة عن ذرات متطايرة في الهواء دقيقة جدا عن إدراك الحواس حيث لا تبصر إلا في شعاع الشمس ، هذه الذرات دائما متحركة حتى عند سكون الهواء ، فالنفس إذن هي العلة في توافق الامتداد في البدن وتناسبها وهو ما يعبر عنه بالنغم ، هذه النفس مبدأ الحركة الذاتية في الحيوان حيث تدخل جسمه وتحركه ، وأيا كان القول في تفسيرها فهي مادية وإن كانت مادتها لطيفة جدا [١] .

مذهبهم في التناسخ وتطهير النفس :

من أهم التعاليم الدينية في الفيثاغورية هو اعتقادها بتناسخ الأرواح ، وعلى الرغم من أن هذه العقيدة قد شاعت بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة كالبوذيين والمصريين والإغريق والرومان والهنود إلا أنه يمكن القول بأن فيثاغورس قد استمد هذه العقيدة من منابع هندية أو شرقية ، إذ الأثر الأورفي كان بارزا في تأثيره على المذهب الفيثاغورى وبخاصة في الإيمان بتناسخ الأرواح [٢] .

وتقوم فلسفة فيثاغورس أساسا على نظريته في التناسخ التي تؤكد على قرابة جميع الموجودات الحية، فالموجودات كلها بما في ذلك النبات

---

(١) انظر: د/ أميرة مطر – الفلسفة اليونانية ص ٧٥ وما بعدها

(٢) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٧٨ ، وانظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٢٦ .

والحيوان والإنسان ترتبط فيما بينها برباط وثيق ،وأنه في مرحلة الولادات قد تتقمص النفس جسم حيوان أو انسان آخر أو نبات مثلا .

وكان من نتائج مذهبهم ان اعتبرت المرأة في جماعاتهم مساوية للرجل لها نفس حقوقه ،وكذلك ظهر اتجاه إلى معاملة العبيد معاملة انسانية.

ومن الناحية الإجتماعية أيضا نجد أن الفيثاغوريين لا يميزون بين الأفراد إلا من حيث مواهبهم ،فهم يصنفون الناس حسب طبائعهم ومميزاتهم ، وقد تحقق هذا التدريج في التناسخ ،ذلك أن الصورة الجسدية التي تتخذها في ولادتها المتعاقبة تعتمد إلى حد كبير على نوع الحياة التي مارستها من قبل [١]

الغاية من التناسخ الفيثاغورى :

إن الغاية من التناسخ عند فيثاغورس وأتباعه هو تحرير النفس من عجلة الميلاد، أي من دائرة الولادات المتعددة وخلاصها إلى المقام الأعلى وذلك بالتطهر من الحس والمحسوس وسائر العلائق الأرضية.

ويرى فيثاغورس أن هناك ثلاثة أنواع من الحياة هي الحياة النظرية، والحياة العملية وحياة التأمل والعكوف على الذات ، ومهما كانت صورة

---

(١) أبو ريان – د محمد على أبو ريان – تاريخ الفكر الفلسفي ج١ – ص٢٣٤، الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون ص٦٣ .

الحياة التي نحياها إلا أنه يجب التسليم فيما يرى فيثاغورس بأننا غرباء في هذه الدنيا ، وأن الجسم الذى يربطنا بها ما هو إلا مقبرة للنفس ، فما نحن إلا قطيع في كنف الإله الذي هو راعينا ، ومن ثم فلا يحق لنا الهروب دون مشيئته [١] .

هذا وقد ذهب الفيثاغوريون إلى أن النفس منفصلة عن البدن ، أى أن جوهرها مختلف عن جوهر البدن فهى أزلية وخالدة ولها وجود سابق على وجود البدن ولا تفنى بفناءه ، والبدن سجن للنفس أو محبس أرضي لها ، وليس للإنسان أن يفر من هذا السجن بالانتحار ؛ ذلك لأننا كالقطيع الذى يملكه الراعي وهو الله تعالى ، وليس لنا الهروب دون مشيئته [٢] .

ونتساءل : ما هو السبيل إلى خلاص النفس بعد الموت ؟

والجواب يتمثل فيما يرى فيثاغورس أن التطهير أو التصفية هو السبيل الوحيد إلى خلاص النفس بعد الموت وارتقائها إلى حياة أعلى بدلا من تناسخها ، وأن أعلى درجات التطهير هو النظر ، وأن كل من كرس نفسه للعلم هو الفيلسوف على الحقيقة وهو الذى استطاع أن يتحرر كلية من عجلة الميلاد.

حيث يعد الخلاص الأبدي أي خلاص النفس من البدن هو الغاية

---

(١) انظر: وولتر ستيس – تاريخ لفلسفة اليونانية ص ٤٩ وما بعدها ، وانظر: بيرنت – فجر الفلسفة اليونانية ص ١٠٨ وما بعدها ، وانظر: د/ حربى محمود – الفلسفة القديمة ص ١٠١ وما بعدها

(٢) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني– فجر الفلسفة اليونانية ص ٧٨ ، وانظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٢٦

القصوى من هذه السعادة التي تصل إليها عن طريق التطهر أو التصفية من جميع اللذات الحسية الدنيوية ،والعيش في زهد وتقشف .وإذا كانت اللذة الحسية الطبيعية تحط من قدر النفس وشأنها فان أفضل وسائل التطهير أو التصفية هو: ممارسة النظر العقلي الذي يساعد على تحرير النفس من قيود البدن .(١)

وينبغي الإشارة إلى أن فكرة التطهير هذه لم تكن من ابتكار فيثاغورس ، فالأورفية تتطلب الخلاص من عجلة الميلاد عن طريق التطهير وذلك باتباع قواعد معينة في المطعم والملبس وبعض العادات المنظمة التي قد تجري على أيدي بعض الكهنة ، وتطهير النفس فيما يرى فيثاغورس إنما يتم بالموسيقى والعكوف على الدراسات العلمية ، بينما تطهير البدن فيتم بالرياضة الجسدية والطب الموسيقى لتصفية النفس كما يستخدم الدواء لتصفية الجسم ، ومع ذلك فإن العلاج بالموسيقى كان مألوفا في الشعائر الدينية القديمة حيث كانت الموسيقى عنصرا أساسيا في أعياد بعض الآلهة (٢) .

وهنا نتساءل : ما هو الجديد في مذهب فيثاغورث ؟.

إن الجديد الذى جاء به فيثاغورس فى هذا الصدد هو:

أنه رفع هذا التطهير من المنزلة العملية إلى المرتبة النظرية فجعل

---

(١) فرج – الفلسفة اليونانية القديمة ص ١٥٣ .

(٢) انظر: د/ حربى محمود – الفلسفة القديمة ص ١٠١ وما بعدها انظـر: د/ أحمـد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٧٨ .

من الحساب والهندسة والموسيقى علوما بمعنى الكلمة ، ورفع من شأن الباحث فيها على مجرد العامل بها عن طريق التجربة والدربة.

هذا وقد تطورت فكرة التطهير وسارت في الطريق العلمي وأخذ بها الفيثاغوريون المتأخرون مثل فيلولاس ، واتبعها سقراط في فيدون ، وأصبحت محور فلسفة أفلاطون ومعظم أصحاب المذاهب الروحية إلى اليوم(١) .

ثالثا : النفس عند أنبادوقليس .

النفس مزيج من العناصر المادية الأربعة (الماء – الهواء – التراب – النار) إلا أن مادتها ألطف وأدق إذ يغلب في تكوينها العنصران اللطيفان وهما الهواء والنار ، فالإنسان لديه مكون من عنصرين متباينين هما :-

النفس والبدن ، وأن النفس كائن سماوي أو إلهى هبط إلى الأرض لاقترافه إثما أو ذنبا ، ونتيجة لذلك فقد عوقبت ، وعقابها أن وضعت في سجن أو قبر هو البدن ، وما على الإنسان إلا أن يسلك حياة خلقية رفيعة تساعده على العودة إلى عالم الحقيقة مرة أخرى (٢) .

وهنا يبدو مدى تأثره بالنحلة الأورفية وتعاليم الفيثاغورية، ذلك أن

---

(١) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٧٨ ، وانظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٢٦ .

(٢) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ١٧٧ .

الأورفية كانت ترى أن الإنسان مركب من عنصرين متعارضين هما :

١ – عنصر طيطانى هو الجسم وهو مبدأ البشر .

٢– عنصر آخر من دم ديونيسوس وهو مبدأ الخير .

والجسد بمثابة القبر للنفس وهو عدوها اللدود ، وواجب الإنسان أن يتطهر من الشر ، ولكى يتسنى له ذلك لا بد من سلسلة ولادات تطيل مدة التطهير والامتناع عن تقديم القرابين الدموية والابتعاد كلية عن الشهوات والملذات ومطالب الجسد الدنيئة ، وعدم تناول مأكولات معينة ، وتلاوة صلوات كالتي وردت في كتاب الموتى عند قدماء المصريين ، وإنه عندما تخرج النفس من الجسد فإنها تلقى الحساب إذ تحاسبها الآلهة وتطهرها فتمر حينئذ بدورة كبيرة من دورات التناسخ ، وبعده تصبح فاضلة وتحيا حياة كلها نسك وفضيلة وتتوثق علاقتها بالآلهة وذلك بعد خضوعها تماما لبعض الشعائر والطقوس [١] .

كما أن أنبادوقليس كان يقول بعالم آخر في مقابل عالم المادة أو العالم الطبيعي هو عالم الأرواح ، وقد تأدى به هذا الاعتقاد إلى القول بالتناسخ ، إذ يبين كيفية تناسخه في قوله :–

" قد كنت من قبل صبيا وبنتا وشجرة وطائرا وسمكة بكماء في البحر"[٢] .فهو يؤمن بالتناسخ وأنه كان طائرا وسمكة وشجرة ،ولذلك كان

---

(١) انظر: د/ حربى محمود – الفلسفة القديمة ص ١٠١ وما بعدها انظـر: د/ أحمـد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٧٨ .

(٢) – انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٧٨ ، و انظر: د/= =حربى محمود – الفلسفة القديمة ص ١٠١ وما بعدها

ذبح الحيوان محرما وأكل لحمه توحشا لأن الابن قد يذبح أباه حين يذبح الحيوان .[١]

ولعل هذا الاعتقاد بالتناسخ يتفق – كما مر – مع الأورفية والفيثاغورية ، وهذه الأرواح تحيا حياة كلها سعادة وغبطة وتعيش في جماعة إلهية ليس فيها مكان للمدنسين الذين يقدمون القرابين الدموية ، وهؤلاء المدنسون الذين لم يتطهروا بعد يتقمصون أجساما حية ويؤلفون الحلقة الوسطى التي تربط عالم المادة أو عالم الطبيعة وعالم الأرواح[٢].

ومجمل القول : أن الإنسان عنده ليس مثل باقي الموجودات ،لأنه عندما يفنى البدن تنتقل النفس إلى بدن آخر ، وتظل محبوسة فيه حتى تتمكن قوى الكراهية من تحطيمه .لذلك يعتبر انبادوقليس من القائلين بمبدأ تناسخ الأرواح ،وهو يرتبط عنده ارتباطا شديدا باعتقاده في خلود النفس ،فقبل وجود الإنسان على الأرض، كانت النفس تعيش سعادة أبدية في العالم الإلهي ،وقد طردت من هذا العالم بسبب ذنب ارتكبته ، ومن ثم كان عقابها أن تكبل بقيود العالم المادي أثناء حياتها على الأرض . ولذلك يرى انبادوقليس أن الحياة الحقيقية توجد في العالم الالهي الخالد الذي يوجد فوق العالم المادي.

---

(١) الأهواني – د أحمد فؤاد – فجر الفلسفة اليونانية ص ١٨٨ وما بعدها .

(٢)انظر: د/ حربى محمود – الفلسفة القديمة ص ١٨٩ وما بعدها انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ٧٨ .

المبحث الثالث

مشكلة نظرية المعرفة لدى فلاسفة المدارس اليونانية القديمة

بحث فلاسفة المدارس اليونانية القديمة مشكلة المعرفة هل تكون عن طريق الحس أم عن طريق العقل وفيما يلى بيان ذلك بإيجاز :

أولا : المعرفة عند هيراقليطس :

لم يعالج أحد من الأيونيين مشكلة المعرفة الإنسانية ، ولم يحاول أولئك ولا هؤلاء التمييز بين العلم الآتي عن طريق الحواس والإدراك الآتي عن طريق العقل وإنما يعد هيراقليطس أول الفلاسفة الذين حاولوا هذا التمييز بينهما ، فقد فرق بين نوعين من المعرفة هما :

١ – المعرفة الحسية أو الظنية .

٢– المعرفة العقلية .

فيرى أن المعرفة الحسية تقوم على الحواس ويذكر منها ثلاثة :

السمع والبصر والشم ، وأهمها جميعا السمع ثم العين والشم له علاقة وثيقة بدخان النار ، فلو تحول كل شيء إلى دخان لميزته الأنوف [١]

لكنه يوجه نقده للمعرفة الحسية مبينا أن الحواس لا تحكم على الأشياء فهي لا تعدو أن تكون نوافذ للمعرفة ، ولذلك كان الإدراك في اليقظة أفضل من الإدراك في النوم ؛ لأن الإنسان فى نومه يقطع صلته بالعالم الخارجي ماعدا استنشاق الهواء ، والحواس لا تفيد إلا معرفة

---

(١) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ١٢٥ .

الظاهر المتغير ، أما معرفة الكلمة أو القانون فالذي يدركه هو العقل أو البصيرة ، وعلى الإنسان أن يبحث في نفسه عن ذلك العقل [١] .

ومن ثم فالمعرفة الحقة لديه تكمن في المعرفة العقلية وحدها ، وأن معرفة الحواس ليست معرفة بل ظن ولا تؤدى إلى اليقين،والحواس الخادعة مسئولة عما ألقى في روع الإنسان من خدعة الدوام الذي ينسبه إلى الأشياء .[٢]

كما ينصح هيراقليطس جميع الناس أن يسلكوا وفقا للعقل "اللوغوس "وعلى المرء أيضا سواء في حياته الشخصية أو الأخلاقية أو في حياته الإجتماعية أو السياسية ، أن يسلك وفقا للأوامر العقلية والمبادئ الأخلاقية ،وبذلك يحصل الإنسان على الاستقرار والهدوء والسعادة .

وعن طريق الإنسان للعقل يحصل على غاياته الإنسانية ولكن للأسف الشديد فإن العامة لا تسلك إلا وفقا للحواس والمعرفة الحسية .ولذلك فإن الرجل الحكيم سوف يتبع العقل بوصفه طريقا موصلا للسعادة وراحة البال .[٣]

---

(١) انظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٢٩ انظر: د/ أحمد فـؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ١٢٦

(٢) الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية – ص١٤٢ ، أحمد أمين ، زكي نجيب محمـود – قصة الفلسفة اليونانية ص٤٢ .

(٣) فرج – الفلسفة اليونانية القديمة ص٥٩ .

ثانيا : المعرفة عند بارمنيدس :-

بحث بارمنيدس فى مشكلة المعرفة لأن الحواس تدل على أن الوجود متغير ، فكيف نستطيع أن نفسر المعلومات التي تفسرها الحواس ، ومن أجل هذا فقد ميز بين طريقين للمعرفة:

النوع الأول : يقينية وهى عقلية ثابتة .

النوع الثانى : ظنية وهى حسية متغيرة ، ومن ثم فليست جديرة بأن تسمى معرفة ؛ لأنها بمثابة آراء وتصورات شعبية وهمية .

والحقيقة الأولى عند العقل هي أن الوجود موجود وأن شيئا لا يوجد ولن يوجد ما خلا الوجود .

أي أن بارمنيدس تجاوز الظواهر الحسية التي وقف عندها الأيونيون والماهيات الرياضية التي وقف عندها الفيثاغوريون وبلغ إلى الموضوع الأول للعقل إلى ما يدركه العقل أولا في الأشياء وهو أنها موجودة ، فلما استخلص معنى الوجود مجردا من كل تعيين نظر فيه فرأى أنه واحد ثابت كامل ، واعتبر كلما لا تتوافر فيه هذه الصفات أي الموجود المتغير وهماً وظناً من صنع الحواس[١] .

ومن ثم يتبين أن بارمنيدس لا يثق في شهادة الحواس وكذلك

---

(١)انظر: وولتر ستيس – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٩ وما بعدها ، وانظر: و.ك.س.جثرى، الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو ، ترجمة وتقديم د/ رأفت حليم سيف ، مراجعة د/ إمام عبد الفتاح إمام ص ٥٧ – مطابع الطليعة – الكويت ١٩٨٥ ، وانظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٢٦

هيراقليطس وذلك لأنها تصور لنا الأشياء كما لو كانت حقيقية وهى إلى فناء محقق أو وهم .

ثالثا : المعرفة عند أنبادوقليس :

يعد أنبادوقليس من أقدم الفلاسفة الذين حاولوا تفسير نظرية المعرفة تفسيرا كاملا ، فإن المعرفة لديه قد تكون :

١- حسية.

٢ - عقلية.

فقد اهتم اهتماما كبيرا بدراسة الحواس وعني عناية خاصة بدراسة البصر ، فالعين التى تبصر كالمصباح الذي يضئ بالنار المشتعلة في داخله ، والتى تخترق الزجاج المحيط به ، كذلك فإن العين فيها نار داخلية تخترق الأغشية كما تخترق الشعلة الزجاج ، ولكن العين ليست مركبة من النار فقط بل يحيط الماء بالحدقة ، وتمتزج أيضا بجزء من الأرض ، وذلك حتى يمكن أن ندرك الأرض بالأرض ، والماء بالماء [١]

ولقد تناول في تفسيره للحواس حاسة الشم أيضا ، وعلى الرغم من اهتمامه الكبير بدراسة الحواس إلا أنه قد ذهب إلى أن المعرفة لا تأتي عن طريق الحواس ؛ وذلك لأنها محدودة لا تدرك إلا قدرا ضئيلا من المعارف.

فالإدراك الحسي لا يعطينا المعرفة الحقيقية لذلك تصدر المعرفة الصحيحة عن طريق العقل والتأمل .

---

(١) انظر: د/ أحمد فؤاد الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية ص ١٧٩

كما يرى انبادوقليس أن المعرفة الصحيحة تتم بين الشبيه والشبيه ولهذا فإن الإنسان يدرك كل عنصر من العناصر بعنصر خاص فيه ، فهو لا يدرك عنصر التراب في الأشياء الخارجية إلا عن طريق التراب الموجود فيه ، وهكذا بالنسبة إلى جميع العناصر (١)

كمايقرر أيضا أن هناك طريقا آخر للمعرفة بجوار العقل هو طريق الإلهام الذي تهبه الآلهة للبشر . ولذا يقول:-

" والحقيقة لا تبصر بالعين أو تسمع بالأذن أو تدرك بالعقل "(٢).

وخلاصة القول : إن مذهب أنبادوقليس يعد مزاجا من المذاهب السابقة ومحاولة للملاءمة بينها ، فقد عني بالعلم الطبيعي على طريقة الأيونيين ، ولم يؤثر مادة على أخرى بل جمع بين المواد الأربع ، إلا أنه خطا إلى الأمام بفصله العلة عن المادة ولو في التصور ، ووضعها مستقلة باسم المحبة أو الكراهية ، وتابع بارمنيدس فى القول بالكرة الأصلية وفى إنكار بعض التغير وهو التغير الكيفي ، فتصور حقائق الأشياء أصولا ثابتة الماهية ، وتصور التغير تنقل هذه الأصول.

وكما ثار بارميندس وهيراقليطس على المعرفة الحسية ، نرى

---

(١) الأهواني – فجر الفلسفة اليونانية – ص ١٤٩ .

(٢) أنبادوقليس – قصيدة في الطبيعة – شذرة ١٠٩ ، وانظر : أرسطو :كتاب النفس ك١ف٥ ٤١٠ ، وانظر:د/ عبد العظيم أنيس – العلم والحضارة ج١ – الحضارات القديمة واليونانية ص ١٧٦ وما بعدها – المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٧م.

انبادوقليس يثور من جديد على المعرفة الحسية ويجعل المعرفة العقلية هي المعرفة الحقيقية .

رابعا : المعرفة عند انكساغوراس :

يعد العقل هو مصدر المعرفة لديه ، فالمعرفة العقلية وحدها هي المعرفة الصحيحة التي يجب الاعتماد عليها ، بينما المعرفة الحسية وهمية خاطئة (١) .

ومن ثم فهو يتفق في ذلك مع بارمنيدس وأنبادقليس.

وتجدر الإشارة إلى أن انكساغوراس قد فسر الإدراك الحسى تفسيرا مخالفا لأنبادوقليس ، فبينما فسره أنبادوقليس وفقا لمبدأ الشبيه يدرك الشبيه ، فإن انكساغوراس فسره بقوله : إن الإنسان لا يدرك بالحس غير المغاير ، أما الشبيه فلا يدرك الشبيه ؛ لأن الشبيه لا يؤثر في الشبيه ، أما المختلف فهو وحده الذى يحدث التأثير فيما يختلف عنه ، مثلا إدراك الأضواء والألوان يتم بأن تنعكس الأشياء على حدقة العين ، ولا يمكن أن تنعكس الأشياء إلا إذا كانت من لون مخالف للون العين ، وعلى ذلك فليس الشبيه يدرك الشبيه ، بل إن المخالف يدرك المخالف (٢) .

وكذلك الأمر في الذوق واللمس ، فنحن نعرف الحار والبارد والحلو والمر لا بما يشبهها بل بأضدادها .

---

(١) انظر: شارل فرنر – الفلسفة اليونانية ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ص ٥١ وما بعدها ، بيروت لبنان ، ط:أولى ١٩٤٨م.

(٢) انظر: د/ أميرة حلمي مطر – الفلسفة اليونانية ص ١٨٩

ويذكر أنكساغوراس أن في جميع الكائنات الحية حتى في النباتات نصيبا من العقل ، والفرق بين الإنسان والحيوان أن الحيوانات تمتاز بالقوة والسرعة أما الإنسان فيمتاز بالتجربة والذاكرة والحكمة والمهارة [١] .

وقد بعثه على الاعتقاد بوجود العقل عاملان :

الأول : ما رآه في الكون من نظام وتناسق وجمال مما يستلزم قوة مدبرة عاقلة .

الثاني : هذه الحركة التي تدب في الأشياء ،ومن ناحية أخرى لم يستنتج انكساغوراس من دقة النظام في الكون وجود القوة الخالقة ،بل القوة المنظمة ،والفرق واضح بين القوتين [٢]

إن هذا العقل هو الذي ينظم الوجود ويخرج الذرات الأولى من حالة الاختلاط إلى حالة الوجود الحقيقي وهذا "النوس" أي العقل يتصف بصفات ثلاث عنده هي : البساطة والعلم والقدرة [٣].

إن قيمة العالم اذن في تمامه وكماله معا ، وارتقائه من حالة الفوضى والاضطراب إلى حالة النظام والتكوين ،ويتوقف ذلك على هذا الجوهر العقلي الذي سماه انكساغوراس باسم النوس، الذي يرجع الفضل

---

(١) انظر: د/ عبد الرحمن بدوى – ربيع الفكر اليوناني ص ١٦١ ، وراجع : د/ حربى محمود – الفلسفة القديمة ص ٢٠٠ وما بعدها

(٢) فرج – الفلسفة اليونانية – ص١٢٧ .

(٣) بدوى – د عبد الرحمن بدوي –ربيع الفكر اليوناني ص ١٥٩ .

إليه في إرساء قوانين العلية في الطبيعة للقيام بتحريك الأشياء ،نحو أهدافها النهائية ،لذلك نجد أن النوس أو العقل عند انكساغوراس جوهر فريد لا يفنى ،ويختلف عن جميع الجواهر الأخرى .

خامسا: المعرفة عند ديمقريطس:

أنشأ ديمقريطس نظرية في الإدراك الحسى قائمة على نظريته الذرية ، وتفسير الإدراك عنده قائم على حقيقة ما تنشره الأجسام الخـــارجية من صور عنها ، إذ أن هذه الصور تنفذ إلى العين وتولد الرؤية ، أما الصفات التي تدرك عن طريق الحواس كالألوان فليست إلا مظهرا فحسب ، إذ أن ماله وجود في الواقع هو الجواهر الفردة والخلاء ، أي أن الذرات والخلاء عنده هي مكونات العالم الحقيقية ويمكن للعقل إدراكها ، والظواهر تتركب من الذرات والخلاء فهي حقيقية ويمكن إدراكها بالحواس ويستطيع العقل أن يستنتج من الظواهر لأنها وهى وحدة مؤلفة من الخاصيات الأولية ، ولأن الحس وهو إدراك الظواهر الحقيقية والحس هو والفكر شيء واحد .

فمن تجاوز حقيقة الظواهر كان كمن يسند إلى الموضوع ما هو في الواقع من خواص التجربة الذاتية المستمدة من الحواس [١] .

فكأن ديمقريطس من هذه الناحية يميز بين نوعين من المعرفة وهما:-

أ – المعرفة حسية

---

(١) انظر: شارل فرنر – الفلسفة اليونانية ص ٥١ وما بعدها

ب – المعرفة العقلية [١] .

ولقد أرجع نشاط العقل إلى حركة الذرات النارية ،وعلى هذا النحو استخدم الذرات النارية في تفسير حقائق النفس ،وتعد حركات الذرات مسئولة عن العلاقة بين العلة والمعلول داخل المادة ذاتها.

وإلى جانب تفسيره لوظيفتى النفس والعقل ،على أساس فكرة الذرات النارية ،فهي أيضا تفسر لنا أوجه النشاط الإلهي.

كان الغرض اذن من البحث الميتافيزيقي عند ديمقريطس هو الوصول إلى معرفة الحقيقة ،بينما كان الغرض من البحث الأخلاقي هو الوصول إلى السعادة وهي هدف أقصى للوجود ، وفيه تكمن سلامة العقل ورضاه .

ولقد رفض ديمقريطس مبدأ اللذة باعتباره مبدأ قائما على المعرفة الحسية الزائفة ،وهو يرى أن السعادة الحقيقية هي سعادة النفس ، وذلك عندما تسعى إلى معرفة الحقيقة ولا يتوفر لها ذلك من خلال التجربة الحسية . [٢]

وبناء على ذلك يطالبنا الحكيم إلى استخدام التفكير العقلي والإعتماد عليه بوصفه طريقا يؤدي بنا إلى عفة النفس واعتدالها ، والتحكم في رغباتها ،حتى يمكنها الحصول على السعادة الحقيقية .

---

(١) انظر: وولتر ستيس – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٨٣ ، وانظر: د/ يوسف كرم – تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٩ وما بعدها

(٢) فرج – الفلسفة اليونانية القديمة – ص ١٣٧ .

أما من يفضل الحواس مصدرا لسعادته ،فإنه يفتقر إلى الخبرة والمعرفة ،ولا يتبع سوى شهواته ويكون مصابا بالتخلف العقلي ،لذلك فإنه يساهم بأقل القليل في المجتمع . (١)

وديمقريطس يعتبر المعرفة الحسية نسبية ، فالمعرفة الحقة عنده في العقل ويجعل العقل صدى للحس ولا يعطى تفسيرا لكيفية مجيء العقل والإحساس عن طبيعة مادية .

ومن الملاحظ في فلسفة ديمقريطس وجود ثنائية في الفكر تبدأ من تمييز بين مرحلتين من المعرفة ، هما التجربة الحسية والتفكير العقلي ،ولذا بلغت كل مرحلة ذروتها في تفسيره للأخلاق على مبدأي اللذة والسعادة.

(١) المصدر السابق ص ١٣٦ وما بعدها .

الخاتمة

نسأل الله حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على من ختم الله به الرسالات ، سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . وبعد ..

فقد توصلت من خلال بحثى لموضوع " المدارس الطبيعية عند اليونان " إلى النتائج الآتية :-

أولا : أن الفلسفة لدى هذه المدارس فلسفة طبيعية ، فهى تتجه مباشرة نحو الظواهر الطبيعية ، ولا أقصد من هذا أنها تقتصر في بحثها على عالم الأجسام ، فالطبيعة هنا ليسن عالم الأجسام الطبيعية ، وإنما يقصد بذلك أنها لم تفرق بين طبيعة داخلية وطبيعة خارجية ، وتبعا لهذا اتجهت إلى الطبيعة الخارجية وحدها وإلى الظواهر التي تصدر إليها من الخارج فحسب .

ثانيا : أن أول نظرة فلسفية خالصة مقترنة بالنظرة العلمية بدأت مع طاليس وترامت مع انكسمندريس وانكسيمانس، وخلفت تراث الفلسفة الطبيعية الأولى التي تعد على بساطتها قاعدة الحضارة الفكرية عند اليونان .

ثانيا : يعد طاليس أول من حاول تفسير الكون تفسيرا يبتعد بدرجة ما عن التفسيرات الميثولوجية ، وسواء فشلت محاولته أو لم تفشل فهي

المحاولة الفلسفية الأولى التي نظرت إلى الكون نظرة كلية شاملة ووضعت له تفسيرا واحدا يستوعب جميع جزئياته.

ثالثا : يعد بارمنيدس الإيلى أهم شخصية استمد منها أفلاطون اتجاهه التأملى والميتافيزيقى ، بل أول فيلسوف أثار مشكلة المعرفة على أساس التمييز بين الحقيقة والمظهر في الوجود، فعامة الناس من غير المرتادين للأسرار هم الذين يكتفون بالظن في حين أن المرتادين الذين يصلون إلى لب الحقيقة هم القادرون على فهم النفس أو الجوهر وهو وجود ثابت خالد ، وليس كما تصوره الفيثاغوريون نقاطا تحدد فراغا لا نهائيا.

رابعا : على الرغم من أن معظم آراء أنبادوقليس فى تفسير الكون قد تبدو ساذجة إلا أنها مع ذلك تعد محاولة العقل البشري في تفسير أسرار الكون.

خامسا : يعد انكساغوراس أول من فصل العقل عن المادة أو فرق بين الجسمانى واللاجسمانى فاتجهت أنظار الفلاسفة من بعده إلى هذه الناحية الجديدة يتخذونها دون ظواهر الطبيعة موضوعا لدرسهم.

سادسا : ظهر لنا جليا الصلة القوية بين المدرسة الأيونية، والمدرسة الفيثاغورية ،والمدرسة الايلية ، فهذه المدارس لا تتفق من ناحية الزمان والعصر فحسب ، بل تتفق قبل هذا كله في المذهب والاتجاه الفلسفي ، فهى كلها قد بحثت في الجوهر الذي إليه ترجع الأشياء لكنها لم تبحث في كيفية صدور الأشياء المختلفة عن الجوهر الواحد ، وكيفية تغير الجوهر الواحد الى عدة اشياء مختلفة ، سواء كان ذلك بالكيف او بالكم او بهما معا .

سابعا : أثبتت الدراسة أن عددا كبيرا من الفلاسفة قبل سقراط قد ساروا في ركب أصحاب المدرسة الطبيعية ، وخاصة هرقليطس حيث ركز على مسائل الميتافيزيقيا ، ومحاولة الكشف عن لغز تفسير العالم الطبيعى .

ثامنا : رفض فلاسفة اليونان قبل سقراط قبول التفسيرات الخارقة للطبيعة ، والتي انتشرت في تلك الفترة ،وبحثوا عن تفسيرا أكثر عقلانية يمكن فهمها ، أو كما يمكننا وصفه حاليا للتفسيرات العلمية ، وتعتمد التفسيرات العلمية على معرفة أصل الأشياء وذلك يتطلب وصفا رياضيا يمثل هذه الظواهر المختلفة من حولنا .

تاسعا : اهتم فلاسفة اليونان قبل سقراط بالبحث والوقوف على تحديد مختلف المشكلات الموجودة في الطبيعة ، والتناقضات الموجودة فيها ، ومحاولة ايجاد حلول لها ، وهي التي أصبحت فيما بعد أساسا للرياضيات والعلوم والدراست الفلسفية ، بغض النظر عن قبول هذه الحلول التي وضعها الفلاسفة أم لا .

... و بعد .. فهذا جهد المقل لا أدعي فيه الكمال ، فالكمال لله وحده، وحسبي أنني اجتهدت ، وبذلت الوسع والطاقة لإخراج هذا البحث بتلك الصورة فما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من تقصير فحسبي أنني بشر أخطئ وأصيب. والله أسأل أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه إنه ولي ذلك والقادر عليه . والله من وراء القصد ، وهو حسبي ونعم الوكيل وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم جل من أنزله .

ثانيا : المصادر والمراجع :

١ – أبو ريان (د/ محمد على)– تاريخ الفكر الفلسفي– الجزء الأول " من طاليس إلى أفلاطون) ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ط: ١٩٨٨م.

٢ – أرسطو – الحيوان

٣ – أرسطو – كتاب النفس – نقله إلى العربية :د / أحمد فؤاد الأهواني – مراجعة الأب جورج شحاته قنواتي ، ط ١ ، البابى الحلبى وأولاده ١٩٤١م.

٤ – أرسطو – ما بعد الطبيعة .

٥ – أزفلد(أزفلد كوليه) – مدخل إلى الفلسفة ، ترجمة د/ أبو العلا عفيفي ، نشر دار النهضة العربية ، ط: خامسة ١٩٦٠م.

٦ – آل ياسين (د/ جعفر)– فلاسفة يونانيون (العصر الأول) ، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧١م.

٧ – الألوسى (د/ حسام الدين) – بواكير الفلسفة قبل طاليس أو من الميثولوجيا إلى الفلسفة عند اليونان ، دار الشئون الثقافية بغداد ١٩٨٦م.

٨ – أنيس (د/ عبد العظيم)– العلم والحضارة ج١ – الحضارات القديمة

واليونانية– المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٧م.

٩ – الأهواني (د/ أحمد فؤاد) – فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط ، دار إحياء الكتب العربية ط:أولى ١٩٥٤م

١٠ – بدوى (د/ عبد الرحمن) – خريف الفكر اليوناني

١١ – بدوى (د/ عبد الرحمن) – ربيع الفكر اليوناني ، طبعة خامسة – بيروت ١٩٧٩م.

١٢ – بريهية (إميل بريهية) – تاريخ الفلسفة ج١(الفلسفة اليونانية) – ترجمة جورج طرابيشي ، بيروت ١٩٨١م.

١٣ – بيصار (د/ محمد). الفلسفة اليونانية (مقدمات ومذاهب) – بيروت ١٩٧٣م.

١٤ – توماس (هنري توماس) – أعلام الفلاسفة ، كيف نفهمهم ، ترجمة متري أمين ، مراجعة :د/ زكى نجيب محمود ، دار النهضة العربية ١٩٧٤م

١٥ – جانيه (بول جانيه وجبريل سياى)– مشكلات ما بعد الطبيعة – ترجمة د/ يحي هويدي – القاهرة ١٩٦١م

١٦ – جثرى (و.ك.س.جثرى) – الفلاسفة الإغريق من طاليس إلى أرسطو ، ترجمة وتقديم د/ رأفت حليم سيف ، مراجعة د/ إمام عبد الفتاح إمام – مطابع الطليعة – الكويت ١٩٨٥

١٧ – حمادة (د/حسين صالح)– الفلسفة اليونانية ، دار الهادي – ط:

أولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٨ - خضر (د/ عادل إبراهيم).المنهج البياني في معالم الفكر اليوناني من طاليس حتى أفلاطون ، ط:أولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٩ - الدقيقي (د/ رضا محمد) – دراسات في الفلسفة اليونانية ، ط: ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.

٢٠ - ديوانت (وول ديوانت) – قصة الحضارة .

٢١ - الذهبى – سير أعلام النبلاء .

٢٢ - رسل (برتراند رسل) حكمة الغرب ، ترجمة فؤاد زكريا ، الكويت ١٩٨٢م.

٢٣ - سارتون (جورج سارتون) – تاريخ العلم – ترجمة د/ أحمد فؤاد الأهواني– دار المعارف بدون.

٢٤ - ستيس (وولتر ستيس) تاريخ الفلسفة اليونانية – ترجمة مجاهد عبد المنعم ، دار الثقافة ١٩٨٤م.

٢٥ - الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أحمد– الملل والنحل – تحقيق د/محمد سيد كيلانى – طبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده.

٢٦ - صليبا (الدكتور جميل) – المعجم الفلسفي ــ دار الكتاب اللبناني ــ بيروت ــ ط:١٩٨٢م

٢٧ - طرابيشى (جورج طرابيشى) – معجم الفلاسفة ، دار الطليعة – بيروت.

٢٨ - عزيز (د/ محمد) – تاريخ الفلسفة ، مؤسسة شباب الجامعة بالإسكندرية بدون.

٢٩ - عطيتو (د/ حربى محمود) – الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية ، دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية ١٩٩٩م.

٣٠ - عون (د/ فيصل بدير) – فكرة الطبيعة في الفلسفة اليونانية مع بيان مصادرها ، مكتبة الحرية ، ط:أولى ١٩٨٠م.

٣١ - غلاب (د/ محمد) – الفلسفة الإغريقية ، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ، ط: ثانية ١٩٥٠م.

٣٢ - الفاوى (د/ عبد الفتاح أحمد)– قضية الألوهية في الفلسفة ، ط: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٣٣ - فخرى (د/ ماجد) – تاريخ الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلوطين وبرقلس ، دار العلم للملايين ط:أولى ١٩٩١م.

٣٤ - فرج – محمود يحي فرج – الفلسفة اليونانية القديمة – الناشر – دار الكتاب العربي .

٣٥ - فرنر (شارل فرنر) – الفلسفة اليونانية ، ترجمة تيسير شيخ الأرض ، بيروت لبنان ، ط:أولى ١٩٤٨م.

٣٦ - فهمى (الأستاذ محمود) تاريخ اليونان – تقديم د/ محمود زينهم محمد عزب – مطبعة الغد ،ط: أولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٣٧ - كرم (د/ يوسف) – تاريخ الفلسفة اليونانية ، ط: ثالثة ١٩٥٣م.

٣٨ - كريم (كريم متى) – الفلسفة اليونانية ، مطبعة الإرشاد – بغداد ١٩٧١م.

٣٩ – كريمر (صمويل نوح) أساطير العالم القديمة ، ترجمة أحمد عبد الحميد ، مراجعة عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

٤٠ – لطف (د/ سامي نصر) – فكرة الجوهر في الفكر الفلسفي الإسلامي ، مكتبة الحرية الحديثة – ط: ١٩٧٨م.

٤١ – مطر (د/ أميرة حلمي) – الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، دار المعارف ١٩٨٨م.

٤٢ – نازلى (نازلي إسماعيل) – تاريخ الفلسفة اليونانية صـ ٩٠ ، ط: ١٩٨١م.

٤٣ – نجيب محمود (د/ زكى نجيب محمود ، د/أحمد أمين)– قصة الفلسفة اليونانية ، ط: ثامنة ، مكتبة النهضة المصرية بدون.

٤٤ – النشار (د/علي سامي) – نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، منشأة المعارف ١٩٩٩م.

٤٥ – النشار (د/ علي سامي) ، د/ أحمد صبحي – نشأة الفكر الفلسفي عند اليونان ، منشأة المعارف ١٩٦٤م.

٤٦ – النشار (د/ علي سامي) – ديمقريطس في العالم الإسلامي (ضمن ديمقريطس فيلسوف الذرة).

٤٧ – هانزر (هانزر ريشنباخ) نشأة الفلسفة العلمية ، ترجمة د/ فؤاد زكريا ، دار الكتاب العربى ١٩٦٨م.

٤٨ – وجدى (محمد فريد) – دائرة معارف القرن العشرين ، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط: ثانية ١٩٧١م.